من بواعث تأليه النصارى للمسيح عليه السلام

" دراسة تأصيلية تحليلية نقدية "

دكتور

مخلوف محمد محمد جلاجل

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد

في كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية

بطنطـــا

من بواعث تأليه النصارى للمسيح عليه السلام " دراسة تأصيلية تحليلية نقدية "

دكتور / مخلوف محمد محمد جلاجل

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد في كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

هذا البحث يتناول أهم البواعث وراء قول النصاري بألوهية رسولهم المسيح عيسى ابن مريم على رسولنا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، بناءً على تفسيرهم وفهمهم الخاطئ لنصوص من كتابهم بعهديه القديم والجديد ونصوص من كتابنا نحن المسلمين ، ألا وهو القرآن الكريم .

وقد قمتُ بالرد على هذه البواعث ، كلٌّ باعث على حده ، ردًا علميًا مؤصلاً بنصوص من كتابهم ذاته ، ونصوص من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، مستعينًا في بيانها ، والمراد منها ، والفهم الصحيح لها بأقوال الأئمة والعلماء القدامى منهم والمحدثين ، والمعتد بهم ، والذين تلقَّتْهم الأمة بالقبول ، ومراعيًا في ذلك الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، مع الإدلاء برؤيتي في هذه القضية المناصرة للحق .

ذلك الحق الذي تمثل في:

- أن المسيح – عليه السلام – ابنُ مريم وليس ابنَ الله ، ومِنْ ثَمَّ فهو إنسان من جملة الأَناسِيِّ أو البشر .
- وأنه عبد الله ورسوله إلى بني إسرائيل خاصة ، أوحى الله تعالى إليه بشرع ، وأمره بتبليغه إليهم بما اشتمل عليه من : عقيدة الوحدانية ، والأحكام الشرعية ، والقيم الخُلُقية .

(SOME CAUSES OF THE CHRISTIANS DEIFICATION OF JESUS CHRIST (P.B.U.H)- A GENUINE ANALYTICAL CRITICAL STUDY)

Prepared by
Dr. Makhluf Muhammad Muhammad Galalgel
Associate professor of Da'wa and Islamic Culture
Faculty of Theology and Da'wa in Tanta

Summary of the research

This research discusses the most important reasons for the Christians' claims of the divinity of their Messenger the Messiah, Jesus sons of Mary (P.B.U.H) This is due to their wrong interpretation and understanding of some texts of their holy book whether (the Old Testament and the New Testament) and other texts of our book i.e the Holy Qur'an.

On the one hand, I have refuted each and every reason in a scientific way based mainly on quoting texts from their holy book, itself and other texts from the Holy Qur'an and the Honourable Prophetic Tradition. I have clearly shown these texts, explained their meanings and illustrated their correct understanding seeking help in the sayings of authentic old and modernist scholars accepted in Muslim community. I have also considered wisdom, beautiful preaching and argument in the best way.

On the other hand, I have expressed my own opinion about this issue that supports the truth, represented in the fact that:

- Jesus Christ is the son of Mary and not the son of Allah. Hence, he is a man like all human beings.

- Jesus is a servant to Allah and His Messenger to the Children of Israel in particular. Allah, the Almighty has revealed to him a Divine Law and commanded him to proclaim it to them. This Divine Law contains: the doctrine of Oneness of Allah, the legal rulings and the moral values……

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد ، المنزه عن الشريك والولد ، وأشهد أن لا إله إلا الله الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبد الله ورسوله ، القائل : " لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله "[1] .

اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

وبعد

فهذا بحث بعنوان (من بواعث تأليه النصارى للمسيح عليه السلام ــ دراسة تأصيلية تحليلية نقدية) .

هذه البواعث هي نصوص من كتابهم المقدس، اتخذها النصارى أدلة بعثت بهم إلى القول بألوهية رسولهم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وذلك على أساس تأويلهم الخاطئ لهذه النصوص ، وحَمْلِهم المجازَ فيها على الحقيقة...!

كما اتخذوا من بعض نصوص القرآن الكريم أدلة انطلقوا منها للقول بالوهية رسولهم عليه السلام أيضاً، مُؤَوِّلين هذه النصوصَ القرآنية الوضيئة المعصومة بما يتفق مع اتجاهاتهم العقدية ...

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه : كتاب الأنبياء . باب ٤٨ : "واذكر فى الكتاب مريم " [مريم : من آي ١٦] رقم (١٢١٤) وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

ودَوْرِي في هذا البحث ينحصر في عرض هذه البواعث، وتحليلها ، والرد عليها رداً علميًا مدعوماً بنصوص من كتابهم ذاتـــه ، لتكـــون الحجة عليهم أوقع وأدمغ ، ومدعوماً كذلك بنصوص من القرآن الكريم، وأدلةٍ عقليةٍ لا يملك العقل السوي المجرد من الهوى والغـــرض إلا أن يسلم لها بداهة ....

وقد التزمْتُ في هذا البحث الحيـــدةَ، والموضـــوعية، والحكمـــة، ومجانبةَ التجريح، كما هو دَأْبِي دائماً بفضل الله فـــي أبحـــاثي، وفـــي دعوتي العملية إلى الله تعالى، مُرَتِّبَا النتائجَ على المقدمات تُسْـــفِرُ عـــن كُنْهها، وتتحدث عن نفسها ...

خصوصاً ونحن نعيش في دولتنا مصر، ويعيش معنا بين جَنَبَاتِها إخوتُنا وأَخَوَاتُنا النصارى، وذلك انطلاقا من الآتي:

= إننا نحن المسلمين نَدين بدين الإسلام الذي يُقِرُّ مبدأ المواطنة، والمعايشة السلمية، والتعددية، بحيث يكون لهم ما لنا من حقوق، وعليهم ما علينا من واجبات، ولا يُكْره أحدا على اعتناقه ، وهو قول الله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) [(١)]

= وإيمانا منا كذلك بأن الهداية بيد الله تعالى وحده ، ولا أدَلَّ على ذلك من قول الله تعالى لرسوله الخاتم ﷺ : (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْـــتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [(٢)]، فالهداية لم يُمَلِّكْهـــا اللهُ تعالى أحداً من خلقه، ولو مَلَّكَها أحداً لملكها أحبَّ الخلق إليـــه مـــن إنس وجان وملائكة سيدَنا محمداً ﷺ ...

(١) (سورة البقرة : من آية ٢٥٦)

(٢) (القصص : الآية ٥٦)

= إن النصارى الموادعين في أي بقعة من بقاع الأرض إخوتنا في الإنسانية، وفي أصل النشأة، أما بالنسبة لنصارى مصر فهم بجانب ذلك إخوتنا في المواطنة، واللغة، يجمعنا وطن واحد، تُظِلُّنا قيادةٌ واحدة، وحكومة واحدة، وشركاء في بناء الوطن، ويحكمنا مصير واحد، ولهم ما لنا وعليهم ما علينا ، لهم ما لنا من حقوق ، وعليهم ما علينا من واجبات.

لهم منا حق الحماية المنوطة بأنفسهم وأعراضهم وأموالهم ومقدساتهم ، وسائر دور العبادات عندهم، وعليهم ما علينا من واجبات كالولاء للدولة، والحفاظ على أمنها وسلامتها واستقرارها...

فأهم تلك الحقوق: [حرية العقيدة ــ حماية النفس ــ حماية العرض ــ حماية المال ــ حرية العمل ــ حق الكفالة من بيت مال المسلمين عند الحاجة ــ حرية التنقل ــ حرية التعامل بقانون الأحوال الشخصية الخاص بهم ــ حق الملكية][(١)] .

وإذا كان كل حق يقابله واجب، فإن أهم ما يجب على أهل الذمة من النصارى:

[الولاء للدولة الإسلامية: فلا يحاربوا أهلها ، ولا يعينوا عليها ، لأنهم بعهد ذمتهم قد تجنسوا بجنسية الدولة الإسلامية ، ومحاربتُهم أهلَها بعد ذلك خيانة عظمى ضد الوطن ، يعاقِب عليها الدين ، وتعاقِب عليها كل القوانين والنظم الدولية][(٢)] .

---

(١) ينظر : مستقبل النصارى في الدولة الإسلامية : أ.د / راغب السرجاني ، ص : ١٤٤. ط١:القاهرة- أقلام للنشر والتوزيع والترجمة ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.

(٢) المرجع السابق ، ص : ١٥٨ .

= هذا فضلاً عما رهبت به السنة النبوية من إيذائهم، أو منعهم حقاً من حقوقهم، قال ﷺ (ألا من ظلم معاهداً ، أو انتقصه ، أو كلَّفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة)[(١)] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (من قتل مُعاهِداً لم يَرِحْ رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً)[(٢)]

وليس أكثر من أن ديننا الإسلامي أباح لنا نحن المسلمين الأكلَ من طعامهم ، والتزوج من نسائهم ، قال تعالى : (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه : كتاب : الخراج والفيئ والإمارة ــ باب ٣٣ : تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات ، رقم (٣٠٥٠) وهو من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ . قال الشيخ شعيب : إسناده حسن .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه : كتاب الجزية والموادعة ــ باب ٥ : إثم من قتل معاهداً بغير جرم ــ رقم (٣١٦٦) وهو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

[قوله ﷺ " لم يرح " بفتح الياء والراء ، وأصله " يراح " أي : وجد ريح . وحكى ابن التين : ضم أوله وكسر الراء " يُرِح " قال : والأول أجود وعليه الأكثر ، وحكى ابن الجوزي ثالثة وهو فتح أوله وكسر ثانيه " يَرِح " من راحَ يَرِيحُ والله أعلم ، ولفظ النسائي : " من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة " فقال : " من أهل الذمة " ولم يقل " معاهداً " وهو بالمعنى] . (فتح الباري بشرح صحيح البخاري : للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ج٣١٢/٦ ، ط: القاهرة ــ دار الريان للتراث ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦م).

و[قوله ﷺ " ألا من ظلم معاهِداً " : " ألَا " للتنبيه ، " معاهِداً " بكسر الهاء : أي ذمياً ، " أو انتقصه " أي : نَقَصَ حقَّه ، وقال الطِّيبي : " أي عابه "، " أو كلَّفه فوق طاقته " أي في أداء الجزية أو الخراج ، بأن أخذ ممن لا يجب عليه الجزية، أو أخذ ممن يجب عليه أكثر مما يُطيق، " فأنا حجيجه " : أي خصمه، ومُحَاجُّه ــ أي أقرعه الحجة بالحجة ــ ومُغَالِبه بإظهار الحجج عليه ، والحجة : الدليل والبرهان] (عون المعبود شرح سنن أبي داود : للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مج٢١١/٨/٤، ط١: بيروت – دار الكتب العلمية١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م).

الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) [1]

ودعانا إسلامنا الحنيف إلى أن نبرهم، ونتحرى مبدأ العدالة في التعامل معهم، قال تعالى : (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [2] ، **إذن** : فهذا البحث تقرير لِمَا قرَّرَه القرآنُ الكريم، وقَرَّرَتهُ السنةُ النبوية المطهرة من حُكْمٍ وتِبْيَانٍ حِيَالَ عقيدةِ إخوتنا النصارى حول تأليههم لرسولهم المسيح عيسى عليه السلام ، وذلك انطلاقاً من وجوب تبليغ الدعوة الإسلامية، وخَوْفِ التأثُّمِ من كتمانها، فالدعاةُ ورثة الأنبياء في الدعوة والبلاغ ــ أسأل الله تعالى أن أكون منهم ــ ، لا سيما من بُعث إلى الناس كافة من عرب ومن عجم سيدنا محمد عبد الله ورسوله ﷺ ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [3] .

ونحن المسلمين لا نُرْغِمُ أحداً على اعتناق الإسلام، وذلك بحكم تعاليم إسلامنا ذاته حيث قولُ الله تعالى : (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [4] .

---

(١) سورة المائدة: آية ٥.

(٢) سورة الممتحنة : آية ٨.

(٣) سورة المائدة : آية ٦٧.

(٤) سورة البقرة : آية ٢٥٦.

وإذن القصد من إعداد هذا البحث هو: إظهار الحق في القضية مناط الدراسة، وهي تأليه النصارى رسولَهم المسيحَ عيسى ابن مريم عليه السلام .

وذلك من منظورين :

الأول : من منظور إسلامي، وبمقتضى نصوص القرآن الكريم التي استدلوا بها على إثبات مَدْعاهُم، ومن منظور السنة النبوية الصحيحة أيضاً.

الثاني : بل ومن منظور مسيحي، وبمقتضى نصوص الكتاب المقدس ذاته بعهديه القديم والجديد التي أَوَّلُوها تأويلاً خاطئاً بغية دعم اتجاههم العَقَدِي .

وبعد ذلك : كلٌ يتحمل تبعة قراره في عقيدته أمام الله عز وجل ، وهو سبحانه محاسِبُه، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

أما التعامل والمعايشة بيننا وبين إخوتنا وأخواتنا النصارى فذاك شيء آخر، إنه أمر حَسَمَه القرآنُ الكريم قديماً ولا يزال، وذلك بدعوته إلى أن يكون هذا التعامل، وتلك المعايشة على أساس من البر والعدل والسماحة.

والله تعالى من وراء القصد ، ومنه المدد والفضل.

الفقير إلى ربه ومولاه
مخلوف محمد محمد جلاجل

أهمية الموضوع :

تتجلي أهمية الموضوع في الآتي :

ـ أن العقائد في أي دين سماوي أو وضعي تمثل أساساً له ، فإذا صح الأساس صح البنيان واستقام ، وتحققت الفائدة منه ، والعكس بالعكس .

ـ وعليه : فالكشف عن حقيقة العقيدة التي يدين بها نصاري العالم، والماثلة في تأليههم رسولَهم المسيحَ عيسى بن مريم عليه السلام ، وذلك من خلال إبطالها بالأدلة والبراهين النقلية من كتابهم ذاته ، فضلا عن أدلة وبراهين القرآن الكريم، والسنة النبوية، والأدلة العقلية، يثمر الأتي :

أ ـ يجعلهم على بَيِّنة من أمرهم ، فإن ثابوا إلى عقيدة الوحدانية التي دعاهم إليها رسولهم عيسى عليه السلام فبها ، وإن أصروا على ما هم عليه من تأليه رسولهم ، فكلٌ يتحمل تَبِعَةَ قراره : " ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم "[1] .

ب ـ يكون ذلك حماية للمسلمين من حركات التبشير والاستشراق، وتبصرةً لهم بحقيقتها، وأخذَ الحذرِ منها، لعلمهم أنهم على الحق، ويتبع ذلك حفاظُهم على عقيدتهم الإسلامية الماثلة في الوحدانية الحَقَّة، واعتزازُهم بها، والتمسك بمقتضياتها من التكاليف الشرعية أمراً ونهياً...

(١) الأنفال : آية ٤٢ .

أسباب اختيار الموضوع :

يرجع اختياري لهذا الموضوع إلى أسباب كثيرة، أهمها :

١ــ حبي لمادة الأديان، ورغبتي الشخصية في الكتابة عن هذا الموضوع .

٢ــ بيان الحق في هذه القضية العقدية التي يدين بها أكثر سكان العالم وذلك :

أ ــ استجابة للأمر الوارد في قول الله تعالى لرسوله ﷺ (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [(١)] .

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومن ثَمَّ فالأمر بالتبليغ يشمل ورثة الأنبياء عليهم السلام في الدعوة والبلاغ والبيان .

ب ــ وخوفاً من تأثم الكتمان ووعيده، حيث قول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) [(٢)]

لكن مع مراعاة الأمر الوارد في الآية الكريمة: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [(٣)]

---

(١)(المائدة : ٦٧) .

(٢) (سورة البقرة : آية ١٥٩) .

(٣) (النحل : ١٢٥) .

الهدف من البحث :

الهدف من موضوع هذا البحث يتمثل في الآتي :

١- إثباتٌ بالأدلة والبراهين القطعية أن ألوهية المسيح عيسى عليه السلام التي قال بها النصارى لم تقل بها أناجيلهم، وأن قولَهم بألوهيته عليه السلام مبني على تأويلهم الخاطئ لنصوص هذه الأناجيل ذاتها بما يتفق وأهواءَهم .

٢- إثباتٌ بالأدلة والبراهين القطعية الخاصة بنصوص الكتاب المقدس أن المسيح عليه السلام بشر، وعبد الله ورسوله، وعلى لسانه هو عليه السلام ، فضلاً عن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.

الدراسات السابقة :

لم أجد ــ في حدود ما أعلم ــ سِفْراً تناول هذا الموضوع على سبيل الاستقلال، وعلى هذا النحو من الاستفاضة، إنما هو صفحات قلائل ضمن مبحث أو مطلب في كتاب ، أو في ثنايا السطور أحياناً، ومن ثم : فهذا البحث قد يكون جديداً في بابه.

صعوبة الموضوع :

تكمن صعوبة الموضوع فيما يلي :

أن الديانة النصرانية من خلال أناجيلها، فضلاً عن العهد القديم، بتوراته وأسفار الأنبياء ديانة مليئة بالمتناقضات، والطَّابَعُ البشريُّ واضح جلي في عباراتها بسبب ما أصابها من تحريف وتبديل، باستثناء بقايا الحق منها، في الوقت الذي يَدَّعِي فيه أصحابها بأنها وحي إلهي، متلمسين أدلة من هنا وهناك لصحة مَدْعَاهم ...!!!

ومنها موضوع هذا البحث، حيث قولهم بألوهية المسيح عيسي عليه السلام، مع كونه عليه السلام بصراحة أناجيلهم وعلى لسانه هو مخلوقاً

وبشرا مثلهم، ورسولا وعبداً لله تعالى، متأولين لإثبات ألوهيته النصوصَ تأويلا فاسدا يتجافى مع الشرع ، وقوانين الفكر والعلم ، وما ذاك إلا إرضاءً لأهوائهم، ودَعْماً لِمَا توارثوه من تلك الديانة ...

وهو الأمر الذي يستدعي الرد عليهم فيما يدعونه ، ولكن بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والمجادلة التي هي أحسن ــ كما أسلفت ــ ...

والردُّ العلمي المُنَظَّم والمُؤَسَّس على أدلة صحيحة من النقل والعقل في مثل هذه الموضوعات بالذات ليس سهلا، إنه مُجهِد للعقل والفكر المنوط بتحليل النصوص، والاستنباط منها ...

منهج البحث :

وقد سلكت في هذا البحث عددا من المناهج العلمية كي تضبط مساره بدءًا ومُنْتَهيً ، فلا يخرج عن إطاره العلمي الأكاديمي المُعَدِّ له ... أهمها :

١ ـ **المنهج الاستقرائي** : [وهو تتبع قضايا جزئية للوصول منها إلي قضية عامة كلية :] (١)

وقد تتبعت من خلاله الأدلة النقلية الداعمة لموضوع البحث ، سواء في ذلك نصوص القرآن الكريم، أو نصوص الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، وكَوَّنتُ من مجموعها ما هو أشبه بوحدة موضوعية متكاملة للبحث قَدْرَ استطاعتي .

٢ ـ **المنهج الاستدلالي** : [وهو الذي نسير فيه من مبدأ إلي قضايا تنتج عنه بالضرورة دون التجاء إلي تجربة] (٢)

---

(١) مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام : أد / حلمي عبد المنعم صابر ص ٧٤ بتصرف يسير ط : رابطة العلم الإسلامي ــ مكة المكرمة – السنة ١٦ ــ العدد [١٨٣] ١٤١٨ هـ .

(٢) مناهج البحث العلمي : أد / عبد الرحمن بدوي ص ١٨ ط ٣ : الكويت– وكالة المطبوعات ١٩٧٧ م .

وأقول من خلال تجربتي البحثية: هو منهج يبحث في إنشاء الأدلة نقلية كانت أو عقلية ، وكيفية توظيفها في معرض الإثبات أو النفي للقضية محل البحث.

وقد أَورَدْتُ بعضَ أدلة النصارى على ألوهية المسيح عيسي عليه السلام من نصوص أناجيلهم بما يحقق الكفاية لطبيعة البحث، وأتبعتها بأوجه دلالتهم منها، حيث تأويلهم الخاطئ لها ، والمجافي للحق والحقيقة ، فضلاً عن تجافيه لبدهيات المنطق السديد ، والعقل السوي .

ثم قمت بتحليل هذه النصوص ونقدها نقدا تَخَلَّلَ إبطالَها بنصوصٍ أخرى من أناجيلهم ، أو من كتابهم بعهديه القديم والجديد، ونصوصِ القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة، متخذا إياها دليلاً وسنداً أصيلا لتوثيق محاور ومراد البحث ومقصوده، كلُّ نصٍّ في موضعه لا يتعداه، حرصا على الموضوعية ...

٣ ـ **المنهج الاستنباطي** : [وهو انتقال الذهن من قضية أو عدة قضايا هي المقدمات إلي قضية أخري هي النتيجة وفق قواعد المنطق.

ومن أوضح صوره : البرهنة الرياضية ، ويقوم المنهج الاستنباطي علي مقدمات مُسلَّم بها بصفة نهائية أو مؤقتة ، ونتائج تنتج عنها بالضرورة] (١) وهذا المنهج بتفعيله يحتوي على شقين :

الأول : **شق تحليلي** : ويَنْصَبُّ في المقدمات الماثلة في نصوص الكتاب المقدس ، ونصوص القرآن الكريم موضعِ البحث والدراسة.

الثاني: شق يتعلق بالنتيجة اللازمة للمقدمة أو المقدمات السابقة عليها : وقد خلصتُ من هذا المنهج إلى نتائج تمثلت في : بشرية

(١) مناهج البحث العلمي وآداب الحوار والمناظرة : أ د / فرج الله عبد الباري أبو عطا الله ص٤٨٩ ط ١ : ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م (د.م) .

المسيح عيسي عليه السلام ، ونبوته ، وعبوديته لله تعالي الواحد الأحد المتفرد بالألوهية الحقَّة ... ، وهي نتائج أسفرت عنها التحليلات المتعلقة بالنصوص من الكتابَيْنِ : كتاب النصارى، وكتابنا نحن المسلمين (القرآن الكريم) .

٤ـ **المنهج الوصفي:** [وهو الذي يصف الفكرة أو الظاهرة، ويُفَسِّر واقعها][(١)] أي يُعَلِّل وجودَها وواقعها ، أو يُفسر سببَ أو سرَّ وجودها ، وتطورها في الواقع ...

وعَبْرَ هذا المنهج وصفتُ حال النصارى وصفا مقروناً بالعجب خلال عرض تأويلهم الخاطئ لنصوص كتابهم كأدلة لهم على ألوهية رسولهم المسيح عيسي عليه السلام ، وخلال التحليل والبيان لتلك النصوص الذي قمت به ، حيث يتمسكون بعقيدة ظاهرة البطلان بأدنى فكر وتأمل، وليس لهم من دليل سوي التقليد والتبعية للآباء والأجداد ، وما يدعم ذلك ــ في زعمهم ــ من تأويلات لهم ما أنزل الله تعالي بها من سلطان ، مخالفين بذلك نصوصَ كتابِهم الصريحة والواضحة والناطقة ببشرية المسيح عليه السلام ونبوته وعبوديته لله تعالي " كما أسلفت " ، فضلا عن نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

[٣ – **المنهج النقدى:** وهو الدراسات التى تعتمد على تحليل الأفكار ، والتدليل المنطقى][(٢)] ، وتمييز الجيد والردئ ، والحسن والقبيح من الأفكار ... .

---

(١) أصول البحث: أ/ عبد الهادي الفضلي ص ١٩٣ ط: إيران ــ دار الكتاب الإسلامي ــ (د.ت).

(٢) البحث العلمى ومناهجه النظرية : أ د / سعد الدين السيد صالح . صـ ٣١ . ط ٢ : جدة – مكتبة الصحابة ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م .

والنقد هنا مُوَجَّه فقط إلى موضع الدراسة من نصوص الأناجيل المحرفة والمؤولة تأويلا خاطئاً، ونصوصِ العهد القديم بتوراته وأسفار الأنبياء ، ويتضمن:

أ ــ التنبيه إلى ما يكتنفها من تعارض بَيّن .

ب ــ إبطالها بنصوص أخرى من كتابهم ذاته بعهدَيْه القديم والجديد ، وهي تلك التي تُعدُّ بقيّةً من بقايا الحق، وتتوافق مع ما قرره القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، حيث سَلِمَتْ من أيدي المُحرِّفين والمُبدِّلين .

أما القرآن الكريم بنصوصه فهو فوق مستوى الشبهات ، وفوق مستوى النقد البشري، إذ هو وحي إلهي معصوم، تكفل الله تعالي بحفظه فقال جل شأنه : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1] " وقال تبارك اسمه : (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ[2] "، وكذلك السنة النبوية الشريفة، فهي مبيِّنة للقرآن الكريم، وحِفْظُ المبيَّن يستلزم حفظ المبيِّن، قال الله تعالى : " بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ "[3].

(١) سورة الحجر : آية ٩ .

(٢) سورة فصلت : ٤١ ، ٤٢ .

(٣) سورة النحل : من آية ٤٤ .

التعريف بمفردات عنوان البحث

[من بواعث تأليه النصارى للمسيح عليه السلام]

دراسة تأصيلية تحليلية نقدية

أولاً : مدلول الحرف " مِنْ " :

كما أن للأسماء والأفعال معاني فللحروف معان ودلالات، و"مِنْ" حرف جر من معانيه:

[التبعيض: قال تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾[(١)(٢)] - والمراد بعض المؤمنين من صحابة سيدنا رسول الله ﷺ .

و" مِنْ " في عنوان البحث هنا للتبعيض.

ثانياً : مدلول كلمة " بواعث "

ترد مادة " بَعَثَ " بعدة معان، منها :

١- الإثارة .

٢- الحمل على فعل الشيء، والتواصي على فعله.

جاء في الكليات : [البعث : الإثارة][(٣)] .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٢٣ .

(٢) المنجم في الألفاظ النحوية : للشيخ / المهدي محمد الجلّي، ص ٣١٣ ، ط: طرابلس – مجلس الثقافة العام ٢٠٠٦م .

(٣) الكليات : لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، ص : ٢٤٤ ، ط٢: بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م

وفي المعجم الوسيط [يقال : بعث فلاناً على الشيء : حمله على فعله ، وتباعث القوم على كذا : دعا بعضهم إلى عمله] (١)

ثالثاً : تأليه :

تدور مادة (أَلَهَ) وما يتفرع عنها من معان على اختلاف صيَغها حول معنى العبادة . في معجم مقاييس اللغة : [أَلَهَ : الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التَّعَبد، فالإله: الله تعالى ، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال : تَأَلَّهَ الرجلُ إذا تَعَبَّدَ] (٢) .

والتأليه: جعل الشيئ إلهاً، أو الحكم بألوهيته، فيقال: [أَلَهَ – إلاهةً وألوهة، وألوهية: عبد عبادة. و–فلاناً: منعه وأجاره ، و– إليه : فزع أي سكن إليه. والتأليه: التعبيد. والإله: المعبود بحق، ويُستعمل في المعبود بالباطل، لادعائهم أنه حق] (٣) .

[و"الله": علم على الإله المعبود بحق] (٤) [وهو اسم لم يُسَمّ به غيره تبارك وتعالى] (٥) .

---

(١) المعجم الوسيط : ج ١ / ٦٤ ، مادة (بَعَثَ) .

(٢) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق د / عبد السلام محمد فاروق مج٥ / ٣٠٢، ط١ : بيروت ، دار الجيل ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

(٣) معجم متن اللغة : للشيخ / أحمد رضا مج ١ /١٩٩ مادة (أله) ط : بيروت – مكتبة دار الحياة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م .

(٤) المعجم الوسيط ١ / ٦٥ مادة (أ لَهَ) .

(٥) تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ١٩/١، ط: القاهرة – مكتبة دار التراث (بدون تاريخ) .

خامساً : مفهوم " النصارى" :

أولاً في اللغة :

فى معجم متن اللغة وغيره : [النصرانية: الدين المسيحى، وتنصر دخل فى النصرانية ونصره جعله نصرانيا واحدهم نصرانى نسب إلى الناصرة ، بلد المسيح عليه السلام ، أو هى قرية بالجليل من فلسطين ينسب إليها المسيح عليه السلام أو نسبة إلى نصران : اسم موضع ، أو نصورية أو نصرى أو نصرونة ، وهى أسماء مدينة الناصرة ، أو جمع نصران للمذكر ، ونصرانة للمؤنث (مفرد مهجور) [(١) (٢)] .

من هذا يتبين:

أن لفظ " النصارى " نسبة إلى قرية الناصرة التى ولد فيها المسيح عليه السلام ، أو إلى أى اسم من أسماء تلك البلدة كما ورد فى المعجم.

وقد جاء فى دائرة معارف القرن العشرين : [النصرانية : تطلق النصرانية على الدين الذى أتى به عيسى الناصرى ابن مريم عليهما السلام إلى بنى إسرائيل [(٣)] .

(ب) **النصارى في الاصطلاح** : [هم الذين انحرفوا عن الرسالة التي أُنزِلت على عيسى عليه السلام ، مكملةً لرسالة موسى عليه السلام ،

---

(١) معجم متن اللغة : مج ٥ / ٤٧١ ، ٤٧٢ ، مادة (ن ص ر) ، وينظر : المعجم الوجيز : صـ ٦١٨ ٦١٩ . مادة (نَصَرَ) الناشر : الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ط:١٤١٢هـ – ١٩٩٢ م .

(٢) معجم متن اللغة : مج ٥ / ٤٧١ ، ٤٧٢ ، مادة (ن ص ر) ، وينظر : المعجم الوجيز : صـ ٦١٨ ٦١٩ . مادة (نَصَرَ).

(٣) دائرة معارف القرن العشرين : أ / محمد فريد وجدى . مج ١٠/ ١٩٧ ط ٣ : بيروت – دار المعرفة ١٩٧١م .

ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم موجَّهة إلى بني إسرائيل ، داعيةً إلى التوحيد والفضيلة والتسامح [(١)] .

أو هم معتنقوا عقيدة مجمع نيقية ٣٢٥م ، وذلك في مقابل المسلمين ــ المُوحِّدين من النصارى الأوائل ــ المنكِرين لألوهية المسيح ، المؤمنين بنبوته وبشريته [(٢)] .

المسيح عليه السلام (**المراد به ـ دلالته**) :

[المسيح : لَقَبٌ أُطلِق على عيسي ابن مريم عليهما السلام [(٣)]] .

ولُقِّبَ به لعدة أسباب تدعمها، وتدل عليها المادةُ اللغوية المجردة المكون منها اللقب، وهي "مَسَحَ" .

فلُقِّبَ : عليه السلام بالمسيح : لأنه عليه السلام :

= كان يمسح بيديه علي المريض فيبرأ بإذن الله .

= أو لاستواء قدميه ، فليس لها أَخْمَص .

= أو لصدقه ، وكثرة مصافحته للناس .

= أو لكثرة سياحته في الأرض .

= أو لبركته .

= أو لحسن سمته وجماله ووقاره ووضاءة وجهه عليه السلام

جاء في المعجم الوسيط : [مَسَحَ الشيءَ المُتَلَطِّخَ أو المُبْتَلَّ مسحاً : أَمَرّ يدَه عليه لإذهاب ما عليه من أثر ماء ونحوه ، ومسح الله العلة عن العليل شفاه ، ومَسَحتِ المرأةُ : استوت قدمها فليس لرجلها أخمص ،

---

(١) الموسوعة المسيرة والأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة : لجنة متخصصة من العلماء : إشراف د / مانع بن حماد الجهني . مج ٢ / ٥٦٤ ط : الرياض ــ دار الندوة العلمية للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م .

(٢) المرجع السابق : مج / ١١٤٦ .

(٣) المعجم الوسيط : ٢ / ٩٠٢ .

فهي مَسْحَاء وهو أمسح، وتماسح الرجلان: تصادقا وتبايعا، والتقوا فتماسحوا: تصافحوا.

والأمسح : السَّيَّار في ساحته ، والمسيح : الكثير السياحة ، والمسيح : عيسي بن مريم عليه السلام ، والممسوح بمثل الدهن والبركة ليكون ملكا أو نبياً ، وهذه من عادات اليهود[١]] .

وفي معجم متن اللغة: [المَسْحَةُ: الأثر الظاهر من مُلكٍ أو جَمال أو نحو ذلك، لا يقال إلا في المدح، والمسيح الحسن الوجه ، والمسيح : الصِّدِّيق ، لقب سيدنا عيسي عليه السلام مسيح الهدي[٢]] [وقيل سُمّيَ مسيحا لأن سيدنا جبريل مسحه بجناحه ، حتى لا يكون للشيطان سبيل إليه][٣]

وكل هذه المعاني اللغوية آنفة الذكر لمادة (مسح) أراها تَصْدُقُ على المسيح عيسي عليه السلام ، وتعبِّر عن سر تلقيبه بذلك ، ومدي ملائمته وموافقته لطبيعة وخصال شخصه الطاهر المبارك علي نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

ثالثاً : " عليه السلام " :

عليه السلام : جملة خبرية لفظا[٤] ، إنشائية دعائية معنى[٥] أي اللهم سلم عليه .

---

(١) ح٢ / ٩٠٢ ــ ٩٠٣ .

(٢) مح٥ / ٢٩٢ ، ٢٩٣ مادة (مَ سَ حَ) .

(٣) الكليات : لأبي البقاء أيوب بن موسي الحسيني الكفوي ص ٨٥٩ ط٢ : بيروت ــ مؤسسة الرسالة ١٤١٩ هـ ــ ١٩٩٨ م .

(٤) الجملة الخبرية: هي كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته مثل سافر محمد ، وعلي مقيم. [انظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع .أ/أحمد بن إبراهيم بن مصطفي الهاشمي ص ٥٥ ط : بيروت ــ المكتبة العصرية (د.ت) .

(٥) الجملة الإنشائية : هي كلام لا يحتمل صدقا ولا كذبا ويشمل الأمر والنهي والدعاء . مثل : ذاكر بجد ــ لا تهمل واجباتك ــ اللهم اغفر وارحم . [المرجع السابق : ص ٦٩] .

سابعاً : "دراسة تأصيلية تحليلية نقدية" :

(أ) دراسة : الدراسة هي قراءة تلو قراءة للشيء لحفظه أو فهمه أو هما معا : [يقال : درس الكتاب درسا ودراسة كرر قراءته ليحفظه ويفهمه][(١)]

(ب) تأصيلية :

جاء في المعجم الوسيط وغيره : [أَصْلُ الشيءِ : أساسه الثابت الذي يقوم عليه، ومَنْشَؤُه الذي يَنْبُتُ منه، وأصول العلوم: قواعدها التي تُبْنَى عليها الأحكام[(٢)]، ويُطلَق الأصلُ على الدليل بالنسبة إلى المدلول][(٣)]، وعليه أستطيع أن أقول :

المراد بالدراسة التأصيلية هنا : هي تلك الدراسة القائمة بمضامينها على أساس أو مجموعة أسس من الأدلة والبراهين المتنوعة النقلية منها والعقلية في معرض دعمها إثباتاً أو نفياً .

أو هي إقامة هذه الدراسة على أصول أو أسس ممثلة في أدلة متنوعة ما بين نقلية وعقلية لإثبات المراد.

أما النقلية فأعني بها هنا : نصوصَ الكتاب المقدس بعهدَيْه القديم والجديد، ونصوصَ القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة.

وأما الأدلة العقلية : فهي تلك التي خاطبتُ بها في البحث العقلَ السوي الذي لا يملك حيالها سوى التسليم من خلال تحليل النصوص .

---

(١) معجم متن اللغة : للشيخ / أحمد رضا مح٢/٤٠٠ مادة (د ر س) .

(٢) المعجم الوسيط : ١ / ٢٠ مادة (أصل).

(٣) الكليات : للكفوي ، ص ١٢٢.

(ج) تحليلية :

جاء في الكليات : [الحَلُّ : نثرُ المنظوم بلفظه ومعناه [١] ، وحلَّلَ العُقْدَةَ : حلَّها وـ الشيءَ : رجعه إلى عناصره، ويقال : حلَّل نفسية فلان : درسها لكشف خباياها (مُحْدَثَة) ، وتحليل الجملة : بيان أجزائها، ووظيفة كل منها، والتحليل النفساني : فرع من علم النفس الحديث ، يبحث في العقل الباطن وما فيه من عُقَد ورغبات تمهيداً لعلاجها] [٢] .

وبناءً على هذا أقول : المراد بالدراسة التحليلية هنا : هي الدراسة التي تقوم على إعمال الفكر في تحليل الأدلة المتنوعة، واستنباط المراد منها، بطريقة علمية موضوعية.

(د) نقدية :

النقد هو النظر في الشيء لتمييز الجيد والرديء منه ، أو لإظهار ما فيه من عيب أو حُسْنٍ : [يقال نقد الشيء نقدا : نقره ليختبره ، أو ليميز جيده من رديئه ، ونقد النثر ، ونقد الشعر : أظهر ما فيهما من عيب أو حسن][٣] .

وعليه : فالدراسة النقدية مراد بها هنا : قراءة أفكار النصارى المنشورة والمخطوطة في الكتب حول ادعائهم ألوهية المسيح عيسي عليه السلام قراءة متأنية فاحصة بهدف فهمها واستيعابها لاستخرج ما فيها من زيف وأباطيل.

(١) الكليات : للكفوي ص ٦٤١ .
(٢) المعجم الوسيط ١ / ٢٠ . مادة (حلّ)
(٣) المعجم الوسيط :ح ٢ / ٩٨٢ . مادة (نقد) .

أما القرآن الكريم فهو فوق مستوي النقد لعصمته، وشموخه، وبلوغه ذروة الإعجاز، فهو: "لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ"(١) .

وأقول : إن خضوع الديانة النصرانية للدراسة البشرية النقدية نتيجة لازمة لافتقادها العصمة ، والصبغة الإسلامية الحقة ، لِمَا عَرَاها من تحريف وتبديل علي أيدي العابثين ، ومَنْ اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ، بشهادة كثير من علماء النصارى أنفسهم، ومِنَ القسيسين والرهبان وغيرهم.

المقصود بعنوان البحث : والذي أقصده بعنوان البحث هنا ــ بناء علي ما تقدم : هو بيان حقيقة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام في النصرانية من خلال الكتاب المقدس، وفي الإسلام من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية، تلك الحقيقة الماثلة في كونه عليه السلام بشراً، وعبداً لله تعالى، ونبياً ورسولاً، وذلك في مَعْرِض إبطال ما ادَّعته النصارى من تأويلات خاطئة لنصوص من كتابهم، ومن كتابنا نحن المسلمين (القرآن الكريم)، ــ مَثَّلَتْ هذه النصوصُ بتأويلاتها الخاطئة من قِبَلِهم بواعثَ وأدلةً لهم للقول بألوهية رسولهم المسيح عليه السلام ــ إبطالاً يقوم على التأصيل، والتحليل، والنقد، والاستنباط، وإثباتِ الألوهية لله الحق المُعبَّر عنه عندهم بـ " الآب " .

(١) سورة فصلت : من آية ٤٢ .

مخطط البحث :

وقد قسمت البحث إلى مقدمة ، وسبعة مباحث، وخاتمة:

أما المقدمة : فاشتملت على : أهمية موضوع البحث ـ أسباب اختيار الموضوع ـ الهدف من البحث ـ صعوبة البحث ـ منهج البحث ـ التعريف بمفردات عنوان البحث .

المبحث الأول : ولادة المسيح – عليه السلام ـ من غير أب .

المبحث الثاني : إطلاق لفظ " إله ، الله ، الإله " على المسيح عليه السلام .

المبحث الثالث : إطلاق لفظ " الرب " على المسيح عليه السلام من قِبَلِ حواريه وتابعيه .

المبحث الرابع : تسمية المسيح فى الأناجيل بـ " ابن الله " .

المبحث الخامس : تسمية المسيح بـ " كلمة الله " في الأناجيل، والقرآن الكريم .

المبحث السادس : إخبار القرآن نفسِه عن المسيح ـ عليه السلام ـ أنه روح من الله تعالى.

المبحث السابع : معجزات المسيح عليه السلام.

أما الخاتمة : فقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات .

المبحث الأول

ولادة المسيح عليه السلام من غير أب

إن ولادة المسيح ــ عليه السلام ــ من أم دون أب قال به كتاب النصارى ، وهذا من بقايا الحق فيه ، إذ يوافق ــ إلى حد كبير ــ ما جاء في القرآن الكريم بشأن ولادته في سورة مريم [(١)] ، لكن النصارى حملوها على غير ما سيقت له .

وحملناها نحن المسلمين كما أرادها الله تعالى ، ونطق بها قرآنه ــ على ما سيأتي لاحقاً بإذنه تعالى ــ .

ففي لوقا : [" وفي الشهر السادس أُرسِلَ جِبْرَائيلُ الملاكُ من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة ، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم ، فدخل إليها الملاك وقال: سلام لك أيتها المنعَم عليها ، الرب معك مباركةٌ أنت في السماء ، فلما رأته اضطربت من كلامه ، وفكَّرت : " ما عسى أن تكون هذه التحية ! " ، فقال لها الملاك : " لا تخافي يا مريم ؛ لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع [(٢)] ، هذا يكون عظيماً ، وابنُ الْعَلِيّ يُدْعَى ... ، فقالت مريم للملاك : " كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً ؟ " ، فأجاب الملاك وقال لها : " الروح القدس يَحِلُّ عليك ، وقوة العلي تظللك ، فلذلك أيضاً القدوس

(١) الآيات ١٦ – ٣٧ سيأتي إن شاء الله تعالى ذكر لهذه الآيات حال إبطال هذا الباعث .

(٢) يسوع : الصيغة العبرية للاسم العبري (يشوع) ، ومعنى الاسم: (يَهْوَهْ مُخَلِّص) أي : الله المخلص . [قاموس الكتاب المقدس : لنخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص، ومن اللاهوتيين ، ص ١٠٦٥ ــ ط٦ : بيروت ــ مكتبة المشعل ١٩٨١م] .

المولود منك يدعى ابنُ الله ، وهو ذا أليصابات[١] نسيبتك هي أيضاً حبلى في شيخوختها ، وهذا الشهر السادس لتلك المدَّعوة عاقراً، لأنه ليس شيء غير ممكن لديّ ، فقالت مريم : " هو ذا أنا أمَة الرب ، ليكن لي كقولك" ، فمضى من عندها الملاك][٢] .

مواطن الشاهد في النص :

لقد تضمن نص البشارة ــ كما هو واضح ــ النقاط التالية :

= عذراوية مريم ــ عليها السلام .

= إرسال الله تعالى جبريل إليها ، واضطرابها حين رأته .

= طمأنته إياها بإلقاء السلام عليها ، وأنه رسول من قِبَلِ الله تعالى.

= إخباره إياها بالمهمة المبعوث لها من ربه ممثلةً في : بشارتها بولد تحمل به على غير المألوف من ميلاد البشر .

= تعجبها لكونها عذراء ، ليست ذات زوج .

= القضاء على تعجبها بإخبار الملاك لها بطلاقة قدرة الله تعالى .

= فكانت النتيجة : استسلام مريم عليها السلام لِمَا أُلْقِيَ عليها الملاك من أقوال .

---

(١) إليصابات : اسم امرأة تقية من سبط لاوي ، ومن بيت هارون ، وكانت زوجة زكريا، وصارت فيما بعد أم يوحنا المعمدان الذي ولدته بعد أن كانت قد تقدمت بها السن . [قاموس الكتاب المقدس، ص١١٣] ، ويوحنا المعمدان : هو عندنا نحن المسلمين نبي الله يحيى عليه السلام ، بمقتضى نصوص القرآن الكريم، قال تعالى: (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) [آل عمران آيتا ٣٨ ، ٣٩] .

(٢) ١ / ٢٦ – ٣٨ .

= التمهيد لهذه الآية العجيبة ، وتقريبها للأذهان بعجيبة أخرى تسبقها ، وهي حمل إليصابات بـ " يوحنا المعمدان " من زوجها زكريا عليه السلام مع كونهما عاقرين ، وفي حال الكبر !! .

يقول المستشار الدكتور / محمد مجدي مرجان معلقاً على موطن الدلالة من النص الإنجيلي حسب فهم النصارى له ـ وكان نصرانياً وأسلم ـ : [وكان ميلاد عيسى من عذراء منفذاً للقول بتأليهه ، فما دام أنه قد ولد دون أب ، فلابد أن الله أبوه ، وأنه ليس من جنس الناس .

يقول الحواري لوقا على لسان جبريل عليه السلام عندما بَشَّرَ مريمَ بغلامها الزكي : "الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك، فلذلك المولود منك يدعى "ابن الله"] (١)

ويقول : إبراهيم لوقا : [ولقد اتخذت المسيحية منذ بداءتها ذلك الميلاد العجيب برهاناً على لاهوت المسيح (ألوهيته) ، وهي في ذلك لم تنحرف عن جادة الصواب فالشخص الذي يولد على غير الطبيعة والمألوف لا يمكن أن يكون إلا شخصاً خرج عن دائرة البشر] (٢) .

وهكذا : فهم النصارى الآية العجيبة على غير وجهها الصحيح ، فادّعوا لله تعالى الصاحبة والولد بَدَلَ على أن يبالغوا بسببها في توحيده، ويمجدوه ويصفوه بما هو أهله من تمام العظمة ، والعلم والحكمة ، وكمال القدرة وطلاقتها !! .

□

(١) المسيح إنسان أم إله : للمستشار الدكتور / محمد مجدي مرجان ، ص : ١٤٥ ، ط٤ : القاهرة ـ مكتبة النافذة ٢٠٠٤م .

(٢) المسيحية في الإسلام : إبراهيم لوقا ص١٢٩ ، ط٢ : القاهرة ـ دار النشر القبطية (د.ت) وقد نقلتُه عن كتاب : تأثر المسيحية بالأديان الوضعية أ.د / أحمد علي عجيبة ، ص ٣٥٩ .

إبطال هذا الباعث :

هناك مَنْ وُلِدَ مِنْ غير أم ومِنْ غير أب ولم يقل أحد بألوهيته :

= إن المسيح عليه السلام ليس وحده الذي جاء إلى الوجود من غير أب ، بل وُجِد قبله من أتي من غير أب وأم[(١)] ، فيكون خلقه أغرب وأعجب ، بل وأولى بالألوهية بمقتضى زعمهم ، ومع ذلك لم يقل أحد بألوهيته .

[فجميع الحيوانات والطيور والحشرات ، بل جميع الجراثيم والفطريات خلقها الله تعالى في الأصل من غير أب وأم ، بل الأقرب إلى ذلك آدم عليه السلام ، قال تعالى :" إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ "[(٢)] بل إن حواء نفسها خلقت بعكس الطريقة التي خُلق بها ابن مريم عليهما السلام ، إذ أتت من طريق الذكر وحده دون الأنثى[(٣)] .

بل لقد ذكرت كتبهم من هو أولى بالألوهية من المسيح إذا اعتبرنا عدم اندراج الرجل في تكوين الجنين دليل الألوهية .

---

(١) قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [فاطر من آية : ١] .

(٢) آل عمران : ٥٩ .

(٣) قال الله تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " [النساء : آية ١] ، في تفسير الإمام ابن كثير : [يقول الله تعالى آمراً خلقه بتقواه وهي عبادته وحده لا شريك له ، ومنبهاً لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة ، وهي آدم عليه السلام (وخلق منها زوجها) وهي حواء عليها السلام ، خُلِقَت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم ، فاستيقظ فرآها فأعجبته ، فأنس إليها وأنست إليه ، وفي الحديث الصحيح : " إن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبْتَ تقيمه كسرْتَه ، وإن استمتعْتَ بها استمتعْتَ بها وفيها عِوَجٌ " [تفسير القرآن العظيم : للإمام ابن كثير ج ١ / ٤٤٨ ، ط: القاهرة ــ مكتبة دار التراث (د.ت)] ، والمرأة في الحديث هي حواء [وفيه إشارة إلى أن حواء خلقت من= =ضلع آدم الأيسر ، وقيل : من ضلعه القصير ، ومعنى " خُلقت " أي أُخْرِجَت كما تخرج النخلة من النواة] " فتح الباري بشرح صحيح البخاري : للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٤٢٤/٦ ، ط: القاهرة ــ دار الريان للتراث ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦م .

فـ " مَلْكِي صادق ـ حسب نصوص أناجيلهم ـ وجد بلا أب ، بلا أم ، بلا نسب ، لا بداءة أيام له ، ولا نهاية حياة "[(١)] ـ أي لا بداية له ولا نهاية ـ ، والمسيح عليه السلام وجد من أم ، وله نسب ، وله بداية حياة من ولادته ، ونهاية حياة بصلبه ، فيسقط القول بأن عدم وجود الأب دليل الألوهية ، وقد كان يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) ، يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه : " إن الله قادر على أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم "[(٢)]

وقال تعالى : " مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [(٣)] "[(٤)] .

= إن الله تعالى خلق عيسى عليه السلام من أم دون أب ليكون آية للناس كلِّ الناس على تمام قدرة الله تعالى وطلاقتها ، وعدم تقييدها أو تقييد تأثيرها بالأسباب والمُسبَّبات ، قال جل شأنه: "لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا "[(٥)] وقال سبحانه : " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ

(١) عبرانيين : ٧ / ٣ .
(٢) لوقا : ٣ / ٨.
(٣) سورة مريم : ٣٥ .
(٤) المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام : د / محمد وصفي ص ٧٧ – ٧٨ ، ط: القاهرة – دار الفضيلة (د.ت) .
(٥) آخر سورة الطلاق .

كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا "[١] .

= في تفسير الإمام القاسمي وغيره :

[= أن الله تعالى خلق عيسى من غير أب ، برهاناً يَستَدِل به الناسُ على كمال قدرة بارئهم وخالقهم الذي نوَّع خلقهم ، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى " وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "[٢] ، فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه][٣]

= كما خلقه الله تعالى من غير أب [حتى تكون دلائل صدقه ــ كرسول ــ أبهر ، فيكون قبول قوله أقرب[٤]] لكن النصارى قلبوا الحقائق ، فغيروا وبدلوا ... !! ، ونسبوا لله تعالى الصاحبة والولد ، وأشركوا معه غيره ، وما قَدَرُوهُ حقّ قَدْره ..

= وعن خلق آدم وعيسى عليهما السلام [يقول الشاعر[٥] :

أَلا رُبَّ مولودٍ ليس له أبٌ وذي ولدٍ لم يلده أبوانِ .

= أيضاً خلق الله عيسى عليه السلام ليكون رحمة من الله لعباده من بني إسرائيل ، إذ بعثه نبياً إليهم يدعو إلى عبادته وتوحيده ، وهو أمر قد

---

(١) سورة مريم ، الآيات ١٦ – ٢١ .

(٢) الذاريات : آية ٤٩ .

(٣) محاسن التأويل : للإمام / محمد جمال الدين القاسمي ــ ج ١١ / ٤١٣٢ – ٤١٣٣ ، ط: القاهرة ــ دار إحياء الكتب العربية ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م .

(٤) التفسير الكبير : للإمام / فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن التميمي البكري الرازي الشافعي مج ١١ / ٢١ / ١٧١ ، ط: بيروت ــ دار الكتب العلمية ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م .

(٥) لم أقف على اسم قائله .

قضاه في سابق علمه ، ومضى به حكمه ، فلا يُغَيَّرُ ولا يُبَدَّلُ " مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ "[1] [2]

هذه بعض الدلائل من ولادة المسيح عيسى عليه السلام من غير أب ، كلها تسطع وتنطق في وضوح وإشراق بوحدانية الله تعالى ، وصمديته وطلاقة قدرته ، وتنزهه عن الصاحبة (الزوجة) والولد ، وإفراده تعالى بالألوهية والربوبية ، ولكن القوم قلبوا المفاهيم ، وحملوا تلك الدلائل على غير ما هي له.

(١) سورة ق : آية ٢٩ .

(٢) تفسير المراغي : للإمام / أحمد مصطفى المراغي مج ٦ / ١٦ / ٤٣ بتصرف يسير ط: القاهرة ــ دار الفكر (د.ت) .

المبحث الثاني

إطلاق لفظ " الله ، رب ، إله " على المسيح عليه السلام

١- في أعمال الرسل قول بولس لِقُسُوس[(١)] كنيسة أَفْسُس " لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه "[(٢)] يعني كنيسة المسيح[(٣)] .

٢- وفي رسالة بولس الأولى إلى تلميذه ومريده " تيموثاوس " " وبالإجماع : عظيم هو سر التقوى ، الله ظهر في الجسد "[(٤)] أي يسوع[(٥)] [(٦)] ، والمعنى : الله يسوع ظهر مجسماً في صورة إنسان.

٣ ـ **وجاء في يوحنا** : قول توما[(٧)] للمسيح – عليه السلام – : " ربى وإلهى " قال له يسوع: " لأنك رأيتنى يا توما آمنت ، طوبى للذين آمنوا ولم يروا "[(٨)] .

---

(١) قُسُوس : جمع قسيس، وهي كلمة يونانية بمعنى " شيخ "، والقسيس : رئيس النصارى في العلم، والمفتي في الدين، ومقيم الصلوات، ومرتبته بين الأسقف والشماس [الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة : نخبة من العلماء. إشراف د / مانع بن حماد الجهني مج٢ / ١١٢٥ ، ط٣: الرياض ــ دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٨هـ] .

(٢) أعمال الرسل : ٢٠ / ٢٨ .

(٣) انظر : تفسير سفر أعمال الرسل : جمع وتقديم / هلال أمين موسى ، ص٣٠٠ ، ط١ : القاهرة ــ مكتبة كنيسة الأخوة ١٩٨٠م .

(٤) تيموثاوس : ٣ / ١٦ .

(٥) يسوع : " يَهْوَهْ المُخَلِّصْ " أي : الإله المخلص . [قاموس الكتاب المقدس : ١٠٦٥] .

(٦) انظر : علم اللاهوت النظامي : د / عزت زكي ، ص: ٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ط: القاهرة ــ دار الجيل للطباعة ١٩٧١م ، وتفسير رسائل تيموثاوس الأولى والثانية وتيطس : للمستشرق إريك بيشوب ، ترجمة : حبيب سعيد ص ٤٦ ، ط: القاهرة ــ النيل المسيحية .

(٧) توما : اسم آرامي معناه " توأم " ، وهو أحد الإثنى عَشَرَ رسولاً (مت : ١٠ / ٣) ، ويُظَنُّ أن الرسول توما بشَّر في الهند ــ أي بالمسيحية ــ إلى أن مات شهيداً . [قاموس الكتاب المقدس: ٢٢٦ ، ٢٢٧ باختصار].

(٨) ٢٠ / ٢٨ ، ٢٩ .

جاء في شرح بشارة يوحنا[(١)] " [إن المسيح رحَّب بهذه العبارة التي قدمها له توما ، وقبلها كحق له ، لا ينازعه فيها أحد ، وهذا دليل على أن المسيح إله]

وفى يوحنا – أيضاً – : قول اليهود لعيسى– عليه السلام – : [" لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف[(٢)]، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها " [(٣)]] .

إبطال هذا الباعث :

[ويرد عيسى على اليهود موضحاً لهم المجاز ، ومؤكداً أنه فى هذا يشبه نفسه بحكامهم وقضاتهم الآلهة الذين ينطقون بحكم الله ، فهو أيضاً إنسان حامل كلمة الله ، منفذ لتعاليمه كأحد أبنائه، ــ بل يكون إطلاقه عليه من باب أولى ــ .

يقول يوحنا عن هذه الحادثة : " أجابهم يسوع : أليس مكتوباً فى ناموسكم : أنا قلت إنكم آلهة ، إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ، ولا يمكن أن ينقض المكتوب الذى قدسه الآب ، وأرسله إلى العالم ، أتقولون له إنك تجدف لأنى قلت إنى ابن الله "[(٤)]][(٥)] .

---

(١) للدكتور القس : إبراهيم سعيد ص ٨٣٢ ، ط: القاهرة ــ دار الجيل للطباعة (د.ت) .

(٢) تجديف : شتيمة ونميمة ، ويقصد بها في الكتاب المقدس : كلام غير لائق في شأن الله وصفاته وصفاته ، وفي شريعة موسى كان عقاب التجديف : الرجم ، وقد اتُّهِمَ به يسوعُ المسيح نفسُه (متى ٩ : ٣ ، ٢٦ : ٦٥ – ٦٦ ، ويوحنا ١٠ : ٣٣ ، ٣٦) [الكتاب المقدس : ٢٥٣] .

(٣) ١٠ / ٣١ – ٣٣ .

(٤) يوحنا : ١٠ / ٣٤ – ٣٦ .

(٥) المسيح إنسان أم إله : د / محمد مجدى مرجان صـ ١٥١. ط ٢: القاهرة – مكتبة النافذة ٢٠٠٤م ، وانظر : شرح بشارة يوحنا ، للدكتور القس/ إبراهيم سعيد ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ . ط٣: القاهرة – دار الجيل للطباعة (د.ت) .

ثم إن إطلاق لفظ " إله " على المسيح – عليه السلام – مؤول مجازاً على معنى التكريم والتقدير لشخصه ــ عليه السلام ــ لعلو منزلته المترتبة على قربه من الله تعالى ، والالتزام بتعاليمه وشرعه التزاماً يرفعه إلى مرتبة القدوة المطلقة أمام قومه من بني إسرائيل .

وبيان ذلك :

– أن لفظ " الإله " أطلق على غير المسيح عيسى عليه السلام ، فلو كان إطلاقه على المسيح حقيقة لا مجازاً لكان كل من أُطْلِق عليهم هذا اللفظُ آلهةً ، ولأنهم غير آلهة أطلق عليهم هذا اللفظ " الإله " وما يشبهه وأريد به المجاز على معنى يناسب كل واحد منهم على حِدَه ، بحسب السياق ومقتضيات المقام ...

نماذج من كتابهم :

أ – إطلاق لفظ " إله " على موسى :

النص الأول : [" فقال الرب لموسى : " انظر : أنا جعلتك إلهاً لفرعون ، وهارون أخوك يكون " نبيك " [(١)]] .

مقصود النص :

ومعنى : " أنا جعلتك إلهاً لفرعون " أى [مسلَّطاً عليه ، وحاكماً له. فهذا اللفظ ــ في الكتاب المقدس بعهديه ــ يستعمل للتعظيم والتكريم فى حق الآدميين تجوزاً وتوسعاً، لكن على جهة التقييد لا على جهة الإطلاق، وهذا المعنى يشهد له النص][(٢)]

---

(١) سفر الخروج : ٧ / ١ .

(٢) الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح : للإمام / نعمان بن محمد الألوسى البغدادى . ح ١ / ٢٠٢ . تحقيق أ د / أحمد حجازى السقا . ط ١ : القاهرة – دار البيان العربى سنة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م .

ويقول د / محمد مجدى مرجان : [إطلاق لفظ " إله " – في العهدين القديم والجديد – على الأناسى ورد كثيراً فى التوراة ، وكان يعنى فى نظرهم تكريم الشخص الموصوف به باعتباره قريباً من الله تعالى ، عاملاً بوصاياه ، ودليلاً على القوة والرفعة والعلو] (١) .

ب – إطلاق لفظ " آلهة " على القضاة العدول : فداود النبى– عليه السلام– يسمى القضاة العدول آلهة ، على المعنى المجازى ، وينزع هذا الاسم عن الجائرين منهم . فيقول : [" الله قائم فى مجمع الله ، فى وسط الآلهة يقضى ، حتى متى تقضون جورا وترفعون وجوه الأشرار ؟ سلاه ، اقضوا للذليل ولليتيم . أنصفوا المسكين والبائس ، نجوا المسكين والفقير من يد الأشرار انقذوا .

لا يعلمون ولا يفهمون . فى الظلمة يتمشون ، تتزعزع كل أسس الأرض ، أنا قلت إنكم آلهة ، وبنو العَلِّىِّ كلُّكم ، لكنّ مثل الناس تموتون، وكأحد الرؤساء تسقطون ، قم يا أله . دِنِ الأرضَ ، لأنك أنت تمتلك كل الأمم "] (٢) .

مقصود النص :

وقوله للقضاة : " لكن مثل الناس تموتون ، وكأحد الرؤساء تسقطون ... " يؤكد حمله كلمة " آلهة " على المعنى المجازى ، إذ الإله لا يموت ولا يسقط ، وعندما تحدث عن الألوهية بالمعنى الحقيقى ، اتجه إلى صاحب هذا الاسم الحقيقى فناجاه به قائلاً : " قم يا أله . دن الأرض لأنك أنت تمتلك كل الأمم " .

---

(١) المسيح إنسان أم إله : المستشار الدكتور / محمد مجدى مرجان . صـ ١٤٩ (مرجع سابق).
(٢) مزمزر : ٨٢ / ١ – ٨ .

وإيضاحاً للمعنى المجازى لكلمة " آلهة " جاء فى كتاب : " المسيح إنسان أم إله : تعليقاً على النص : [وهذا يعنى أن الله تعالى موجود وحاضر فى محكمة العدل ، ووسط مجلس الحكم ، وأن ما ينطق به القضاة من أحكام إنما هو كلام الله وحكمه ، كأن القضاة أنفسهم آلهة ، ينطقون بحكم الله ، وينفذون مشيئته .

إن إطلاق لفظ الآلهة على الناس كان من قبيل المجاز ، كإطلاق الألقاب الفخرية والأسماء الشرفية على المبرزين بسبب صفاتهم الكريمة، وأعمالهم الهامة،بحيث إذا تغيرت صفاتهم أو انحطت أعمالهم سحب اللقب، وسقط الشرف .

يؤيد هذا : ما حدث عند انحراف بعض هؤلاء الآلهة – قضاة بني إسرائيل – ، إذ أنهم بعد أن كانوا يقضون بين الناس بالحق ، وينفذون تعاليم الله ،انحرفوا عن جادة الصواب، ومالوا مع الأحساب والأنساب ، وقبلوا الرشوة ، والعطايا من الناس ، مما أغضب داود النبى عليهم ، فأخبرهم بحكم الله بخلع هذه الألقاب الشرفية عنهم ، وبأنهم يستحقون السقوط . والخزى جزاء انحرافهم ، وسوء أعمالهم ، يقول لهم داود : " أنا قلت لكم إنكم آلهة وبنو العلى كلكم ، لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون "[(١)] .

ويقول الشيخ رحمت الله الهندى مُفنِّداً حملَ إطلاق لفظ " الإله " على الحقيقة : [إنه ليس لله شبه وصورة ، وقد جاء صريحاً فى العهد الجديد فى مواضع عديدة أن رؤية الله فى الدنيا غير واقعة ، ففى الآية الثامنة عشرة من الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا هكذا : " الله لم يره

(١)المسيح إنسان أم إله : صـ ١٥٠ – ١٥١ .

أحد " فثبت من هذا أن من كان مرئياً لا يكون إلهاً قط ، ولو أطلق عليه فى كلام الله أو الأنبياء أو الحواريين لفظ " الله " :] [1] ،

أقول :

والقضاة مرئيون ، ومشاهَدون ... ، والمسيح عليه السلام مرئي ومشاهَد.

وعليه : فليس للنصارى عذر فى حمل لفظ " إله " فى كتابهم على حقيقته ، كأساس يستندون إليه فى تأليه المسيح – عليه السلام – ، فإن أصروا على موقفهم رغم وضوح الحقيقة أمامهم فليكن كل من أطلق عليهم هذا اللفظ آلهة ، وهو مالا يقولون به ...

إذن هناك قرائن عقلية . ولفظية فى كتابهم تحيل حمل لفظ " إله " على حقيقته فى إطلاقه على بعض المخلوقين منها :

سياق النصوص ذاتها .

– كون من أطلق عليهم هذا اللفظ لا تتوافر فيهم خصائص الألوهية: حيث إنهم بشر مخلوقون مرئيون ذوو أجسام عبيد لله تعالى ، يأكلون ويشربون ، يفرحون ويحزنون ، ولا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضراً ، وغير ذلك من عوارض البشرية ، والله عز وجل لا يُرى ، وليس جسماً ، وليس له مثل في ذاته ، ولا في صفاته، ولا في أفعاله .

– ولعل الدافع لهؤلاء فى القول بألوهية المسيح – عليه السلام – بصفة عامة هو جهلهم أو تجاهلهم بخصائص الألوهية ، وهى ما يجب لله تعالى من صفات الكمال والجلال ، وما يجوز ، وما يستحيل فى حقه سبحانه وتعالى على نحو ما هو منثور ومعروف في كتب العقيدة الإسلامية .

---

(١)إظهار الحق : للشيخ / رحمت الله الهندى . ح ١ / ٧ ، ٨ . تحقيق أ د / أحمد حجازى السقا . ط ٢ : القاهرة – دار التراث العربى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .

ج ـ إطلاق لفظ " إله " على بعض الملائكة : فإذا كان إطلاق هذا اللفظ على المسيح – عليه السلام – يقتضى ألوهيته ، فإنه يقتضى ألوهية الملائكة.

من ذلك :

 # خطاب الملائكة بعضَ الأنبياء معبرين عن ذاتهم بألفاظ الألوهية ، " الله ـ إله " والربوبية " الرب " .

وها هى ذى بعض النصوص :

فى سفر التكوين : [" ولما كان أبرام[(١)] ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له : " أنا الله القدير ، سر أمامى ، وكن كاملاً ، فأجعل عهدى بينى وبينك ،

وأكثرك كثيراً جداً ، فسقط أبرام على وجهه ، وتكلم الله معه قائلاً : " أما أنا فهو ذا عهدى معك ، وتكون أبا لجمهور من الأمم ، فلا يدعى اسمك بعد أبرام ، بل يكون اسمك إبراهيم، لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم ، وأثمرك كثيراً جداً ، وأجعلك أمماً ، وملوك منك يخرجون ، وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهداً أبدياً ، لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك[(٢)] "] .

التعليق :

هذا النص بفقراته المتعاقبة حجة على النصارى، حيث أطلق فيه لفظ " الرب " و"الله" ، و" إله " على الملك الذى كلم إبراهيم – عليه السلام –، وقرائن السياق تؤيد هذا التأويل . وهى :

قوله : " وظهر الرب " والرب لا يظهر ، ولا يراه أحد .

---

(١) أبرام هو إبراهيم : في قاموس الكتاب المقدس ص ٩ : و[معنى أبرام " الأب الرفيع " ، أو " الأب المتكرِّم " . ومعنى إبراهيم " أبو رهام " أي : أبو جمهور " . (تك. ١٧: ٥)] .

(٢) ١٧ / ١ – ٨ .

وقول الله له : " سر أمامى " والله تعالى ليس جسماً ولا حيزاً حتى تكون له جهة .

يقول الشيخ رحمت الله الهندى : [إن المصير إلى المجاز يجب عند القرينة المانعة عن إرادة الحقيقة ، سيما إذا دل البرهان القطعى على المنع ، نعم يكون لإطلاق مثل هذه الألفاظ – " الرب – الله – إله " – على غير الله وجه مناسب لكل محل ، وإطلاقها على الملائكة لأجل ظهور جلال الله فيهم أزيد من الغير ، ... وكان هذا المتكلم المرئى ملكاً .] [1] .

والعهد القديم بأسفاره الخمسة ذاخر بمثل هذه الإطلاقات ... وهى مؤولة بنحو ما سبق بالقرائن الدالة عليها ...

أقول : ورغم أن إطلاق لفظ " الله أو إله أو رب " على الآدمي المؤمن المقرّب من الله تعالى في الكتاب المقدس إطلاق مجازي ، فهو ــ فيما أرى ــ إطلاق مُبَالغٌ فيه إلى حد الإفراط ، ولا يجوز إطلاقه مهما كانت درجة إيمان ذلك الآدمي وطاعته وقربه من الله تعالى، رسولاً كان أو قاضياً ، أو مؤمناً صالحاً ، وذلك تجنباً لحمله على الحقيقة ، وهذا ما حدث بالفعل ، كما هو ماثل أمامنا الآن ، ولعل هذه المبالغة في الإطلاق راجعة إلى الترجمة ، وإذا كان مردها النص وليست الترجمة فإني أشك في صحة نسبتها إلى قائليها. والله أعلم .

من دلائل عبودية المسيح عليه السلام لله تعالى في الأناجيل :

وبنفْيِ الألوهية عن المسيح عليه السلام تَثْبُت عبوديته لله تعالى، أو لا يبقي إلا أن يكون عبداً لله جل جلاله، ومن الدلائل على عبوديته لله تعالى ما يلي :

(١)إظهار الحق للشيخ / رحمت الله الهندى : ح ٢ / ٨ ، ٩ باختصار كبير (مرجع سابق) .

أ ـ صلاته ﷺ لله تعالى وسجوده له: ففى مرقس: [" وفى الصبح باكرا جداً قام – أى المسيح – وخرج ومضى إلى موضع خلاء، وكان يصلى هناك "[(١)] .

التعليق :

[إن النص صريح فى أن المسيح يصلى لله تعالى ، أى يعبده أمام الناس ، فلمن كان يصلى المسيح فى الصباح الباكر كعادة اليهود ؟ وصلاة اليهود بها سجود . فهل يسجد اللهُ ؟ ولمن يسجد إن كان هو الله؟ ! .

والقول بأن المسيح إنما كان يقصد بالصلاة هنا أن يعلم الناس الصلاة لا يجوز، لأن من ينسبون أنفسهم إليه – وهم المسيحيون – لا يسجدون ، وهذا يَستَبْعِدُ كونَهم على طريقه[(٢)] .] .

– وفى لوقا : [" وفى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى ، وقضى الليل كله فى الصلاة لله "][(٣)] .

هذا النص يدل دلالة قاطعة على :

إبطال ألوهية المسيح .

وإثبات عبوديته لله تعالى .

وإلّا فهل الإله يعبد نفسه ؟ ! أو بعبارة أخرى :

[هل يمكن أن يكون العابد عين المعبود ، أو يُتَصَّور أن العبد الخاضع نفسُ الإله المخضوع له ؟ فكيف تجعله – أيها النصرانى – إنساناً كاملاً ، وإلها كاملاً ، وعبداً ومعبوداً واحداً. حقيقياً، واثنين

(١) ١ / ٣٥ .

(٢) المسيح في الإنجيل بشر : د / ممدوح جاد ، ص : ١٣ ، ١٤ .

(٣) ١٢/٦ .

كاملين ، وأنت تراه بعينى رأسك واحداً ، ليس اثنين ، فهل يسجد البعض من عيسى للبعض منه ؟ !

إن هذه الآية – أو الفقرة – وحدها كافية فى إبطال عقيدة النصرانية[(١)]].

وذلك ببداهة العقل فضلاً عما احتواه النصُّ .

ب ـ إخلاصه – عليه السلام – **فى العبادة لله تعالى ، ودعوته إلى ذلك** : ففى إنجيل متى : [" ومتى صليتم فلا تكن كالمرائين ، فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع ، وفى زوايا الشوارع ، لكى يظهروا للناس .

الحق أقول لكم : إنهم قد استوفوا أجرهم ، وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك ، وصل إلى أبيك الذى فى الخفاء ، أبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية] [(٢)] .

وفى متى – أيضاً – : [" وأما أنت فمتى صنعت صدقة ، فلا تُعرِّف شمالك ما تفعل يمينك ، لكى تكون صدقتك فى الخفاء ، فأبوك الذى يرى فى الخفاء هو يجازيك علانية "] [(٣)] .

وهذا يوافق ما أخبر به القرآن عن عيسى – عليه السلام – : (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً {٣٠} وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً) [(٤)] ، ويتوافق أيضاً مع قول نبينا محمد ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله :

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق " نقد الأناجيل " للشيخ / عبد الرحمن الباجة جي زادة ، ص : ٣٩٨ . ط١ : القاهرة ــ مكتبة النافذة ــ ٢٠٠٦م

(٢) ٦ / ٥ – ٦ .

(٣) ٦ / ٣ ، ٤ .

(٤) سورة مريم : ٣٠ ، ٣١ .

" ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه "[١]، كما يوافق معنى قول الله تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)[٢] .

*** موافقة القرآن الكريم، والسنة النبوية لبقايا الحق من الأناجيل في عبودية المسيح لله تعالى :**

أما القرآن : فقد ذخر من خلال نصوصه الوضيئة بالدلائل الواضحة الصريحة على عبودية المسيح عيسى عليه السلام لله تعالى، من ذلك ــ بجانب الآيتين السابقتين من سورة مريم (٣٠- ٣٢) :

قول الله تعالى : ["إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ"][٣]

فى هذه الآية الكريمة :

١ – إخبار بعبودية عيسى – عليه السلام – لله تعالى الذى أنعم عليه :

أ – بالنبوة والرسالة ، وما ترتب عليها من إجراء الله تعالى المعجزات على يديه وسائر تكاليف الدعوة المنوطة برسالته ... وفى طليعتها الدعوة إلى توحيد الله – عز وجل –، وإفراده بالعبادة .

ب – وبجعله مثلاً ودليلاً لبنى إسرائيل على طلاقة قدرة الله – جل وعلا – ، حيث خلقه من غير أب، فهو – عليه السلام – عبد رسول ،

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب الأذان – أبواب ٣٦ : أبواب صلاة الجماعة والإمامة – رقم (٦٦٠) ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الزكاة – باب ٥٠ : فضل إخفاء الصدقة – رقم (١٠٣١) ، وأخرجه الإمام الترمذي في سننه – كتاب الزهد – باب ٥٣ : ما جاء في الحب في الله – رقم (٢٣٩١)، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في المواضع الثلاثة .

(٢) سورة البينة الآية ٥.

(٣) الزخرف : ٥٩.

وخَلْقُهُ من أم دون أب ليس مسوِّغاً لتأليه النصارى إياه وعبادته، فالله على كل شيء قدير ، لا يتوقف نفاذ قدرته على ارتباط المُسَبَّب بالسبب، وصدق سبحانه إذ يقول : " إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" [1] .

وأما السنة النبوية : فقد ذخرت نصوصها الشريفة كذلك بالعديد من دلائل عبودية المسيح عيسى عليه السلام لله تعالى ، منها :

ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه [عن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تُطْرُوني كما أَطْرَتْ النصارى المسيحَ ابن مريم ، فإنما أنا عبده، فقولوا : عبد الله ورسوله "] [2] ،

مراد الحديث الشريف :

[قوله صلى الله عليه وسلم " لا تطروني : بضم أوله ، والإطراء : المدح بالباطل، تقول : أطريت فلاناً : مدحته، فأفرطت في مدحه. وقوله صلى الله عليه وسلم " كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم " أي في دعواهم فيه الإلهية " الألوهية " ، وغير ذلك...]

ومقصود هذا الحديث الشريف : الإخبار بأن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله، مثل سائر رسل الله عليهم السلام، وفي مقدمتهم رسولنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

لكن النصارى أَطْرَوْهُ، وبالغوا في مدحه، فرفعوه بهذا الإطراء من مرتبة العبودية لله تعالى إلى مرتبة الألوهية، وهذا ما جعل سيدنا رسول

---

(١)النحل : ٤٠ .

(٢) كتاب الأنبياء : باب ٤٨ : " واذكر في الكتاب مريم " [سورة مريم : من آية ١٦] ، رقم (١٢١٤).

الله صلى الله عليه وسلم يحذر أمته من إطرائه سيراً على نهج النصارى مع رسولهم عيسى عليه السلام، فنحن أمة وسط ، قال الله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)[١] ، فلا إله إلا الله، ولا ربَّ ولا معبودَ سواه .

ولله دَرُّ الإمامِ البوصيري رحمه الله تعالى :

دَعْ ما ادَّعَتْهُ النصارى في نبيهمِ واحكم بما شئتَ مدحاً فيه واحْتَكِمِ[٢]

ولله دره حين قال أيضاً في رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم :

فَمَبْلَغُ العِلمِ فيه أنه بشرٌ وأنه خير خلق الله كُلِّهِمِ[٣]

(١) سورة البقرة من آية : ١٤٣ .

(٢) ديوان البوصيري : تقديم وشرح د / صلاح الدين الهواري، ص ٤٢٤ . الناشر : المكتبة العصرية ــ بيروت ــ ط١ : ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨م .

(٣) نفسه : ٤٢٥ .

المبحث الثالث :

 # إطلاق لفظ " الرب " على المسيح عليه السلام من قبل حواريه وتابعيه :

من أسباب وقوع رجال الدين النصارى في القول بألوهية المسيح ــ عليه السلام ــ جهلُهم أو تجاهلهم بمفردات اللغة وتراكيبها، من حيث المفاهيمُ والدلالات المتعددة للفظ الواحد، والأجواءُ التي سيقت فيها ومن أجلها ، والقرائنُ التي تساعد على تحديد المراد منها، وحمل الكلام على الحقيقة أو المجاز ... إلخ .

من ذلك : لفظ (رب) الذي أطلقه الحواريون[1] على نبيهم المسيح عيسى ــ عليه السلام ــ ، وقد أطلقوه مريدين به معنى يليق بمكانته ووصفه ، ولا يخرجه عن بشريته ، لكن حمله النصارى على معنى ارتقوا بالمسيح من خلال مقام الإلهية أو الألوهية، ضاربين عُرض الحائط بالمعاني الأخرى التي يحتملها اللفظ ، رغم وضوحها، وعدم إرادة غيرها منه بالقرائن ، وأكتفي هنا بمثالين من خلال هذين النصين :

النص الأول :

فى لوقا : [وإذ كان يصلى – أى المسيح – فى موضع ، لما فرغ ، قال واحد من تلاميذه : " يا رب علِّمنا أن نصلى] [2] .

النص الثانى :

فى متى : [من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ، ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ،

---

(١) الحواري : الذي أخلص واختير ونُقّي من كل عيب ، وــ الصاحب والناصر.(ج) حواريون ، والحواريون: أنصار عيسى عليه السلام. [المعجم الوسيط : ج١ / ٢١٢]. وقد كانوا للمسيح ــ عليه السلام ــ من الإخلاص والنقاء والصدق والمناصرة ما جعلهم جديرين بهذا اللقب .

(٢) ١١ / ١ .

ويُقتل ، وفى الثالث يقوم، فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلاً : " حاشاك يا ربِّ " لا يكون لك هذا"[(١)] .

جاء في علم اللاهوت : [إن كتبة العهد الجديد أشاروا بلفظة (رب) إلى لاهوت المسيح (ألوهيته) ، ولذلك كل آية ــ فقرة ــ جاءت فيها هذه اللفظة بهذا المعنى هي دليل على ألوهيته] [(٢)] .

إبطال هذا الباعث :

تفسير " الرب " في حق المسيح عيسى عليه السلام بـ " المعلم "، لكونه عليه السلام مربياً ، إذ التربية من مهام المعلم :

هذان النصان وغيرهما يدلان على الآتى :

أن الحواريين أو التلاميذ كانوا يطلقون على عيسى لفظ " الرب". وهذا كان من بواعث تأليه النصارى للمسيح .

والحق أن نصوص كتابهم فى هذه النقطة يفسر بعضها بعضا ، حيث فسرت بعض النصوص الإنجيلية " الرب " بـ " المُعَلِّم " .

جاء فى الجواب الفسيح : [أما لفظة " الرب " : فالرب هو المربى باللطف والإحسان العائد بالامتنان ، وهذه كتب القوم تشهد بأن المعلم يسمى رباً كما أن الرجل يُسَمَّى رَبَّ منزلِه ومالِه] [(٣)] .

وها هى ذى بعض نصوصهم :

١ – فى " يوحنا " : [وفى الغد أيضاً كان يوحنا واقفاً هو واثنان من تلاميذه ، فنظر إلى يسوع ماشياً ، فقال : " هو ذا حَمَلُ الله " [(٤)] .

---

(١) ١٦ / ٢١ – ٢٢ .

(٢) علم اللاهوت (النظامي) : د/ عزت زكي، ص ٢٢٩ ، ط: القاهرة ــ دار الجيل للطباعة ١٩٧١م .

(٣) ١ / ٢٠٢ .

(٤) انظر: يوحنا ٢٩/١، والنص هكذا :" وفي الغد نظر يوحنا يسوعَ مقبلاً إليه، فقال: هو ذا حَمَلُ الله " .

فسمعه التلميذان يتكلم ، فَتَبِعَا يسوعَ ، فالتفت يسوع ونظرهما يَتْبَعان ، فقال لهما : " ماذا تطلبان ؟ " فقالا " " ربى " الذى تفسيره يا معلم " أين تمكث ؟ " فقال لهما : " تعاليا وانظرا " ، فأتيا ونظرا أين كان يمكث "] [1] .

فالأتباع كانوا ينادون المسيح بـ " الرب " حاملين اللفظ على معنى يحتمله كبشر رسول ، وهاهم يفسرون " الرب " بـ " المعلم " دفعاً لإيهام السامع من حمله على معنى الربوبية الملاصقة لمعنى الألوهية ، المُستلزِمة له.

كما أن السبب في إطلاق "الرب " على المعلم هو كون التربية ضمن مهام المعلم ، ومنه " رب البيت " .

٢ – ما جاء فى يوحنا : أن مريم المجدلية[2] حينما رأت المسيح بعد قيامته من قبره – على حسب زعمهم– وعرفته قالت له: ["رَبُّوبِي" الذى تفسيره يا معلم ، قال لها يسوع : لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد

---

(١) ١ / ٣٥ – ٣٩ .

(٢) مريم المجدلية : كانت ذات ثروة ، وصيت حسن ، وإنما كانت قد ابتُلِيَتْ بسبعة شياطين أخرجهم منها المسيح فتبعته (لو٨: ٢و٣) ، وثبتت إلى المنتهى ، فكانت معه وقت الصلب (يو : ١٩ : ٢٥) والدفن إلى القبر ليحنطنه (مر ١٥ : ٤٧) وكانت من جملة اللواتي أتيْنَ إلى القبر ليُحَنِّطَنَّهُ (مر : ١٦ / ١)، وكانت من الأُولَيَات مع مريم أم يعقوب (مر ١٦ : ٩) ، وشرَّفَها المسيحُ بحديثه معها بعد قيامته (يو٢٠ : ١١ – ١٨). [قاموس الكتاب المقدس ٨٥٨] .

أقول : هكذا يعتقدون، وقتلُ المسيح – عليه السلام – وصلبُه أمر نفاه القرآن الكريم في قول الله تعالى: (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) [النساء : ١٥٧، ١٥٨] ويلزم من نفي القتل والصلب نفي دفن المسيح – عليه السلام – وبالتالي نفي قيامته من قبره. وهو عليه السلام رُفِع بجسده وروحه إلى السماء حياً، ولا يزال حياً يرزق، والرفع في الآية رفعُ مكانٍ ومكانةٍ في آن واحد .

إلى أبى ، ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم : " إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم " فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب ، وأنه قال لها هذا[(١)] .

وبجانب التفسير الصريح للرب بالمعلم ، فهل أوضح من ذلك دلالة على تفسير الرب بـ " المعلم " ؟!! ، وبجانب ذلك أيضاً فإن سياق النص هكذا يؤكد على أن الرب ليس مراداً به الإله ، حتى لو لم يفسر بالمعلم .. ، إذ إن السياق يحوى دلائل على بشرية المسيح – عليه السلام – حيث قوله لمريم : " اذهبى إلى إخوتى " وهم تلاميذه وأتباعه ، وهل الإله يكون له إخوة ؟ ! وقوله : " وقولى لهم : " إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم " فسوى بينه وبينهم فى أبوة الله لهم دون تمييز ، وأن أباه وأباهم هو الله إلهه وإلههم ، وهم أبناؤه كما أنه ابنه ...

ويذكر يسى منصور [أنه قام بعملية إحصائية عن عدد المرات التى أطلق فيها لفظ " الرب " على كل من الأقانيم الثلاثة فى الأناجيل ، ورسائل الرسل ، فوجد أن " الله الآب " قد دعى " ربا " اثنتين وستين وأربعمائة مرة ، أما " الله الابن " فقد دعى " ربا " أربعا وأربعين ومائة مرة ، ودعى الروح القدس " ربا " خمس مرات "[(٢)]] .

وبَدَهِيٌّ أن يحمل (يسي منصور) هذه الإطلاقات على معنى الربوبية أو الألوهية في حق من أُطْلِقت عليهم من (الابن ، والروح القدس) ، متجاوزاً بذلك مفاهيم الألفاظ ، ودلائلها المرادة هنا ، مطوِّعاً إياها لخدمة مآربه وأغراضه وتعصبه... !!

□

(١) ٢٠ / ١٦ – ١٨ .

(٢) رسالة التثليث والتوحيد : يسى منصور صـ ٧٣ (د . ط . م) .

دلالة الأناجيل على أن للمسيح عليه السلام رباً يدعوه :

يقول مرقس في إنجيله على لسان المسيح : [" ثم تقدم قليلاً وخر على الأرض ، وكان يصلي لكي يُعْبَرَ عنه الساعة إن أمكن ، وقال : يا أبا الآب ، كل شيء مستطاع لك، فَأَجِزْ عني هذه الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت"] (١) .

التعليق :

يقول صاحب الأجوبة الفاخرة : [وهو ــ أي النص ــ يدل على وجوه :

أحدها : قول مرقس " وكان يصلي " ، والمعبود غير العابد ، فلا يكون هو الله تعالى .

ثانيها : أنه أخبر عن المسيح أنه سأل الله صَرْفَ أو تأخير الموت عنه ، والسائل غير المسئول ، فلا يكون هو الله تعالى .

ثالثها : قوله " ليكن لا ما أريد أنا ، بل ما تريد أنت " جعل إرادة الله تعالى فوق إرادته ، فلا يكون هو الله تعالى .

وهذه الوجوه كلها دالة على عدم الربوبية ــ أو الألوهية ــ وإثبات العبودية لله، وهو المطلوب] (٢) .

[**رابعاً** : قوله : " فأجز عني هذه الكأس " دليل على أنه عليه السلام لا يدري ما يفعل الله به ، وأن علم الله تعالى لا يحيط به علم نبي مرسل ، ولا ملك مقرب] (٣) ، وأنه عاجز عن صرف الشر عنه .

---

(١) ١٤/ ٣٥ – ٣٦.

(٢) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، للإمام / القرافي ص ١٩١ ، ١٩٢ ، بتصرف يسير .

(٣) الفارق بين المخلوق والخالق : ٥٧ ، ٥٨ (مرجع سابق) .

وأقول : هل الإله يعجز عن دفع الضر عن نفسه ؟! ، وإذا كان إلهاً فإلى من يتجه بالصلاة وبالدعاء مع التضرع والتذلل ؟!! .

إن عبودية المسيح عليه السلام لله تعالى في هذا النص وأمثاله لأظهر وضوحاً من الشمس في رائعة النهار ، ولا تفتقر في إدراكها إلى إعمال عقل.... [فإذا كان المسيح – عليه السلام – يقول : " يا رب ، ويا أله ، فكيف يدعو نفسه أم كيف يسألها ؟ ! هذا محال] [(١)] .

□

(١) صفوة التفاسير : للشيخ / الصابونى مح ١ / ٣٥٧ . وينظر : تفسير البحر المحيط : ح ٣/٥٤٣ ، ٥٤٤ .

المبحث الرابع

تسمية المسيح فى الأناجيل بـ " ابن الله "

نعم : وردت بنوة المسيح لله تعالى في الأناجيل مرات عديدة ، وآفة النصارى أنهم حرَّفوا معناها، فحملوها على البنوة الحقيقية باتفاق، لكونها بنوة في زعمهم يَلْزَم عنها ألوهيةُ المسيح عليه السلام ، فيكون شريكاً لأبيه في الألوهية، جاعلين دُبُرَ الأذنِ جميع القرائن في النصوص التي تتصادم مع هذا المعنى ، وهو حملهم تلك البنوة على الحقيقة، جهلاً منهم باللغة وبلاغتها، وجهلاً منهم بقداسة الرب الجليل سبحانه.

ومن الأدلة التي استندوا إليها من كتابهم في إثبات مدعاهم :

ما جاء في لوقا : [" ولما اعتمد جميع الشعب ، اعتمد يسوع أيضاً ، وإذ كان يصلى انفتحت السماء ، ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة[(١)] ، وكان صوت من السماء قائلاً : " أنت ابنى الحبيب ، بك سررت "[(٢)]] .

فهذا النص ــ في زعمهم ــ صريح فى إطلاق " ابن الله " على يسوع ، وابن الله إله ، إذ الولد يرث صفات أبيه .

في علم اللاهوت : [إن لفظة " ابن " تشير إلى وَحْدة الطبيعة ، لأن المولود دائماً طبيعة والده][(٣)]

□

---

(١) حمامة : طائر له صوت حزين ، له طابع لطيف ودود ، والحمامة رمز للروح القدس . [قاموس الكتاب المقدس: ٣١٩] ، والروح القدس عند النصارى مُفَسَّر بـ " حياة الله " وهو عندنا نحن المسلمين أمين الوحي جبريل عليه السلام بمقتضى نصوص القرآن الكريم ، وسنة نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

(٢) ٣ / ٢١ – ٢٢ .

(٣) علم اللاهوت " النظامي " : ص٣٠٥ (مرجع سابق).

إبطال هذا الباعث :

أولاً : إطلاق لقب " ابن الله " على المسيح مجازٌ عن المحبة والقرب من الله تعالى، وتشريف له عليه السلام بهذا الإطلاق :

= إن بنوة المسيح لله تعالى محمولة على المجاز، ومقصود بها : تشريف وتعظيم وتكريم المسيح عليه السلام لكونه موقِّراً لله تعالى، معظِّماً له، ممتثلاً أوامره ونواهيه ، ملاقياً لها بالتلبية والإجلال والتعظيم وعدم المخالفة ، فكأنَّ الله تعالى للمسيح عليه السلام أرحم أب ، وكأن المسيح بالنسبة لله أبرُّ ولد .

يقول صاحب : " الفارق بين المخلوق والخالق : [هذا – أى النص – صريح فى أن المسيح سلام الله عليه بشر مخلوق لله تعالى ، وأنه قبل أن يأتى إلى " يوحنا المعمدان " لم يكن الوحى ينزل عليه ــ أي لم يكن قد نُبِّئَ بعد ــ ، وأن أول ما نزل عليه من الوحى كان بواسطة روح الله ــ أو الروح القدس ــ أى جبريل ، لأن الله تعالى سماه بذلك – أى بروح الله – ، كما تشهد به كتبهم .

وأول ما بلغه عن الله تعالى أنه هو الابن الحبيب الذى به كان سرور الله تعالى] (١) .

ثانياً : إطلاق لقب " ابن الله " على بعض الرسل والأنبياء، والصالحين من المؤمنين ولا تقولون بألوهيتهم، فلماذا المسيح بالذات ؟!!.

[العجب منكم تقولون في المسيح عليه السلام ما لا تقولونه في غيره ، وقد اشترك هو وغيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في لفظ " ابن الله " حرفاً بحرف] (٢) ، إن إطلاق " ابن الله " على يسوع المسيح

(١) الفارق بين المخلوق والخالق (نقد الأناجيل) : للشيخ / عبد الرحمن الباجه جى زادة صـ ٤٣ . ط ١ : القاهرة – مكتبة النافذة ٢٠٠٦ م .

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق (نقد الأناجيل) : ص١٤١ ، (مرجع سابق).

ليس على الحقيقة ، حيث أطلق " ابن الله " على كثيرين غيره فى تلك الأناجيل ، وسائر الكتاب المقدس ، فيلزم – بناء على ادعائهم هذا – أن يكونوا آلهة ، وهم لا يقولون بذلك ، ومن ثم يتحتم أن يكون الإطلاق هنا مجازياً ، حيث يراد به : [شرفُ وعِظَمُ المقول فيهم ، فقد قال المسيح نفسه : " طوبى لصانعى السلام ، لأنهم أبناءُ اللهِ يُدْعَوْنَ "(١)

وقال لتلاميذه: " كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل "(٢) .

فقد أطلق على صانعى السلام ، وكاملى الإيمان بأنهم أبناء الله ، تعظيماً لشأنهم، ويلزم من كون الله تعالى أباهم أن يكونوا أبنائه، وعلى المعنى المجازي السابق.

وقد ورد فى الإنجيل أن " آدم ابن الله "(٣) .

وفى التوراة : " هكذا يقول الرب : " إسرائيل ابنى البكر "(٤) .

ودُعىَ داودُ أيضاً بابن الله البكر : " إنى أخبر من جهة قضاء الرب ، قال لى : أنت ابنى ، أنا اليوم ولدتك "(٥) .

" هو يدعونى : أبى أنت ، إلهى وصخرة خلاصى ، أنا أيضاً أجعله بكراً "(٦) .

---

(١) متى : ٥ / ٩ .
(٢)متى : ٥ / ٤٨ .
(٣) لوقا : ٣ / ٣٨ .
(٤) الخروج : ٤ / ٢٢ .
(٥) مزمور : ٢ / ٧ .
(٦)مزمور : ٨٩ / ٢٦ ، ٢٧ .

وبناء على مجازية الإسناد أو الإضافة ، يكون المقصود تعظيم وتكريم المقول فيهم ، ويكون الأب بمعنى " الله " والابن بمعنى الرجل البار .

وقد بين السيد المسيح نفسه هذا المعنى بقوله : " إنى أصعد إلى أبى وأبيكم ، وإلهى وإلهكم "[(١)] .

فها هو المسيح – عليه السلام – نفسه قد فسر الآبَ بالإله ، كما سَوَّى بينه وبين التلاميذ ــ أي في البنوة لله تعالى ــ ، فهل هم أبناء الله على الحقيقة أم أن هذا الإطلاق للتكريم والتشريف ؟][(٢)] .

[لقد سوّى المسيح – عليه السلام – من خلال النص السابق بين نفسه وبين غيره فى : الأبوة ، والبنوة ، لأن المراد بها : أن الله تعالى يحسن إلى خلقه إحسان الآباء للأبناء بل أشد ، وهذا مشترك بين عيسى عليه السلام وبين الخلق ، – وإن تفاوت الإحسان فى الدرجة ــ .

إن النصارى يحكمون بأبوة الولادة بصدر النص ، وهو قول المسيح – عليه السلام – : " أبى " ، ويغفلون عن قوله : " وأبيكم " وعن قوله: " وإلهكم " ، وعن تصريحه بأنه مخلوق مربوب ، له إله يعبده ، ورب يدبره كسائر المخلوقات.][(٣)] .

□

(١) يوحنا : ٢٠ / ١٧ .

(٢) ينظر : لماذا اخترت الإسلام ؟ أ / جمال زكريا . صـ ٢١ . ط ١ : القاهرة – مكتبة النافذة ٢٠٠٦ م .

(٣) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة : للإمام القرافى صـ ٢٤٤ – ٢٤٥ . بتصرف يسير تحقيق أ د / بكر زكى عوض ط ٢ : القاهرة – مكتبة وهبه ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م .

ثالثاً : مسوغات إطلاق " ابن الله " على المسيح عليه السلام وغيره :

يقول الإمام أبو حامد الغزالى –رحمه الله تعالى- : مبيناً المراد من هذا الإطلاق : [وإطلاق الأبوة والبنوة ههنا على الحقيقة غير مراد ، والسر فى هذا الإطلاق المجازى هو :

أن " الأب " جُبِلَ على أن يكون شديد الحنان والرأفة والرحمة والشفقة لولده ، حريصاً على أن يجلب له جميع الخيور[1] ، ويدفع عنه جميع الشرور ، مجتهداً على أن يوضح له طرق الخير ، ويأمره بالمبادرة إليها ، مسارعاً إلى تحذيره مما يفضى به إلى عقوبة أو لوم أو ضرر دائم ، أو جهالة ساترة لما يراد به فى المستقبل . هذا وضع الأب . فيما نشاهده .

أما الابن فوضعه :

أن يكون موقراً لأبيه ، معظماً له ، شديد الحياء منه ، ممتثلاً أوامره ، ملاقياً لها بالإجلال والتعظيم وعدم المخالفة ، واقفاً عند ما يأمر به وينهاه عنه .

والله – عز وجل – إذا قيس إحسانه إلى كل نبى ، ورحمته له ، وشفقته عليه ، وما جلبه له من الخير ، وما دفعه عنه من الشر ، وما بينه له مما هو لائق بجلاله ، ثم وفقه للعمل بمقتضاه كان ما يصنعه الوالد بالنسبة إلى هذا تافهاً، ومن ثم توقير الأنبياء أيضاً لله ، وحياؤهم منه ، وانقيادهم لأوامره ، ووقوفهم عند مناهيه ، وإجلالهم له ، أعظم من صنيع الأبناء مع آبائهم .

---

(١) الخير : ضد الشر، وجمعه : خُيُور [لسان العرب : ٢ / ١٢٩٨ ، مادة " خَيَرَ "] .

فهو سبحانه لهم أرحم أب ، وهم له أبر ولد ، فهذا سر التجـوز[١] فى إطلاق مثل ذلك ، فإذا تجوز فى إطلاق الأب على الله ، كان معناه أنه راحم له عطوف عليه . وإذا تجوز بإطلاق البنوة على نفسه ، كان معناه أنه موقر لله ، معظم له .

فانظر إلى ما وقف عليه الأنبياء ، ثم أذن لهم فى إطلاقه ، معولين على فهم من له تحصيل يصرفه عن الخيالات الفاسدة .

وها هم النصارى أنفسهم مقيمون على إطلاق ذلـك ، فـإذا رأوا راهباً أو قسيساً قالوا له : يا أبانا ، وليس هو أبـاهم حقيقـة ، ولكـن مرادهم بالإطلاق هو ما أشرنا إليه وهو أنهم ينزلونه فى الشفقة منزلة الأب ، وينزلون أنفسهم فى توقيره منزلة الأبناء

وقد صرح داود عليه السلام بمثل ما أشرنا إليه فى مزاميره فقال :

" كما يترأف الأب على بنيه ، كذلك يترأف الرب على خائفيه "[٢] .

فقد ثبت بما ذكرناه أن إطلاق البنوة علـى عيسـى غيـرُ مُثبِـتٍ خصوصيةً يقع له بها تميُّزٌ .

وصريح الإنجيل ناطق بصحة هذا التأويل ، وهو قوله : " فأعطاهم سلطانا أن يصيروا بَنِي اللهِ "[٣] .

---

(١) التَّجَوُّز : التخفيف، وقبول الشيء على ما هو عليه. يقال : [تجَوَّزَ في الأمر : احتمله وأغمض عينيه، وـ في الصلاة : ترخص ، وخفَّفَ ، وـ الدراهمَ: قبلها على مـا فيهـا مـن زيـف . [المعجم الوسيط ١ / ١٥٢].

(٢) مزمور : ١٠٣ / ١٣ .

(٣) يوحنا : ١ / ١٢ .

أى أعطاهم ما يتمكنون به من تحصيل ما ذكر من المعانى المستفادة من الأبوة على حد ما أُوّل .] [1] .

أقول :

وهذا يعني أن النصارى يتجاهلون القرائن في نصوص كتابهم الحاملة للفظ (الأبوة والبنوة) على المجاز ، وهو المعنى الذي لا يتعارض مع التوحيد الخالص لله عز وجل ، ويَلْزَمُونَ حَمْلَهَا على المعنى الحقيقي لإثبات صحة ما اقتبسه أسلافهم من وثنيات وشركيات في الديانات الوضعية القديمة ، والفلسفات السقيمة ، مُحَمِّلِينَ نصوص كتابهم من المعاني ما لا تحتمل رغم وضوح الحق فيها وصراحته ، ناهيك عن تجاهلهم صوت العقل .

(١) الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل : للإمام / أبى حامد الغزالى . تحقيق أ د / محمد عبد الله الشرقاوى . صـ ١٤٤ – ١٤٧ . باختصار ط ٢ : القاهرة – دار الهداية ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .وينظر : الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام للإمام / القرطبى . تحقيق أ د / أحمد حجازى السقا . ح ١ / ٦٤ ، ٦٥ . ط : القاهرة – دار التراث العربى (د . ت) .

رابعاً: بنوة المسيح لله تعنى مجازاً ـ أيضاً ـ : أنه من أبناء الآخرة، لصلاحه وتعلقه بها، وزهده في الدنيا :

وهذا المعنى مرتبط بسابقه، وهو المحبة والقرب من الله تعالى في حق عيسى عليه السلام ، بل هما متلازمان.

يقول الشهرستانى : [ولعل ذلك – أى إطلاق " ابن الله على المسيح – من مجاز اللغة ، كما يقال لطلاب الدنيا أبناء الدنيا، ولطلاب الآخرة أبناء الآخرة .

وقد قال المسيح عليه السلام للحواريين حين كان يصلب ــ حسبما ورد في الإنجيل ــ : "أصعد إلى أبى وأبيكم" [(١)(٢)]

وعليه : يكون وصف المسيح بأنه " ابن الله " وصف مجازى مراد به بجانب ما تقدم : أنه عليه السلام من أهل الله والآخرة ، جعل حياته ومماته له سبحانه ، على حد قوله تعالى لسيدنا محمد ﷺ : (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {١٦٢} لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) [(٣)] . والرسل والأنبياء شركاء في إخلاص العبودية لله...

كما يقال فى المقابل لطلاب الدنيا ، وعبدة الدينار والدرهم : " أبناء الدنيا " . ولأن الحواريين كانوا على منهج رسولهم عيسى عليه السلام ، فقد استحقوا هذا الوصف ، حيث قول المسيح لهم : " أصعد إلى أبى وأبيكم " ولم يقل " إلى أبى " وفقط .

ويقول الدكتور / محمد مجدى مرجان مبيناً المعنى الصحيح لـــ " بنوة الله " فى كتاب النصارى، وكيف أنها إطلاق مجازى : [إن بنوة

(١) يوحنا : ٢٠ / ١٧ .

(٢) الملل والنحل : للشهرستانى على هامش الفصل لابن حزم ح ٢ / ٦٢ .

(٣) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ .

الله تعالى ليست باللحم والدم ، وليست بالتناسل والتوالد، وإنما بالعمل الصالح ، وكلما صدق الإيمان ، وثبت اليقين ، وحسنت النيات والأعمال ، كلما زاد اقتراب الإنسان من خالقه ، وصار قريباً من ربه كأنه ابنه، فنحن ابناء الله ، وصنع يديه – على هذا المعنى المجازى –] [1] ، لكن النصارى يُصِرُّون على حمل البنوة على الحقيقة ، رغم مصادمة هذا للدين والعلم والعقل .

خامساً : تصريح المسيح نفسه ببشريته :

جاء في يوحنا : على لسان المسيح عليه السلام : [" وأنا إنسان ، قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله "] [2] .

في هذا النص الإنجيلي دلالة على أمرين :

أ- بشرية المسيح عليه السلام ، حيث قوله : " وأنا إنسان " .

ب-ثبوت رسالته : وهو قوله " قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله " .

وعن المسيح جاء ما نصه : [" فقال لهم يسوع : متى رفعتم ابن الإنسان ، فحينئذ تفهمون أني أنا هو ، ولست أفعل شيئاً من نفسي ، بل أتكلم بهذا كما علمني أبي] [3] ، فهو عليه السلام إنسان، والإنسان من جنس من وَلَدَهُ، فهو ابن الإنسان، وهي مريم عليها السلام، التي ينتهي نسبها إلى نبي الله داود عليه السلام، فكيف يكون إلهاً أو ابن إله؟ !!!.

يقول صاحب إظهار الحق : [كان من عادته الشريفة – عليه السلام – أنه إذا عبر عن نفسه كان يعبر بـ " ابن الإنسان " غالباً ، كما لا يخفى على ناظر الأناجيل

(١) المسيح إنسان أم إله : المستشار الدكتور / محمد مجدى مرجان . صـ ١٤٩ .
(٢) يوحنا ٨ / ٤٠ .
(٣) يوحنا ٨ / ٢٨ .

المتداولة كمتى وغيره ، وظاهر أن ابن الإنسان لا يكون إلا إنساناً][(١)] .

[هنا نرى:

١ – أن المسيح ابن الإنسان " متى رفعتم ابن الإنسان " .

٢ – لا يفعل شيئاً من نفسه ، " ولست أفعل شيئاً من نفسى " .

٣ – أن الله علمه " بل أتكلم بهذا كما علمنى أبى " .

ولا يفهم من هذه الفقرات أو الآيات أن لفظ " أنى أنا هو " يعنى الله، بل يعنى المسيح المنتظر – وهو سيدنا محمد ﷺ][(٢)] .

إن المسيح – عليه السلام – يصرح وبوضوح – كما جاء فى النص الإنجيلى – تارة أنه " إنسان " ، وتارة أنه " ابن الإنسان " ، ومما يعرف بالبداهة ، وبلا إعمال العقل أن ابن الإنسان إنسان ، فالابن من جنس من ولده ، فكيف يلد الإنسان إلها ، أو يلد من هو على غير جنسه ؟ !!.

ومن عجب : أنه – عليه السلام – يصرح بذلك ، والنصارى يصرون على مخالفته ، ويعلنون أنه إله ابن إله ، يعبدونه ، ويسجدون له ، ويساوونه بالله تعالى !!فأين تبعيتهم للمسيح – عليه السلام – ؟ !! .

المسيح عليه السلام يتبرأ من قولهم له في حياته " ابن الله" :

[وأما ما ورد فى الأناجيل من إطلاق كلمة " ابن الله " على المسيح ــ فهو لم يطلقها على نفسه ــ ، بل جاءت على ألسنة الناس الذين أطلقوها عليه : إما على طريقة الاستفهام، كقول رئيس الكهنة له: "هل

(١) ينظر: إظهار الحق للشيخ / رحمت الله الهندى ح ٢ / ٤٣ بتصرف يسير . تحقيق أ د / أحمد حجازى السقا ط ٢ : القاهرة – دار التراث العربى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٩م .

(٢) المسيح فى الإنجيل بشر : د / ممدوح جاد صـ ٤٨ . ط ١ القاهرة – مكتبة النافذة ٢٠٠٦م.

أنت المسيح ابن الله؟"[١]، وإما على سبيل التهكم ، كقول الشيطان له : " إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل"[٢] .

ومما يدل على أن هذا اللقب لم يطلقه المسيح على نفسه ، ردَّه على رئيس الكهنة حينما سأله : " هل أنت المسيح ابن الله ؟ " يقول : " أنت قلت "، وردّه على السائلين القائلَيْن الآخرَيْن بقوله : " أنتم تقولون إنى أنا هو"[٣] . ــ ومفهومه أما أنا فلا أقول ذلك ــ .

ومعنى هذا : أن بنوة المسيح لله أمر قاله الناس عنه فقط ، ولم يكن ذلك صادراً عنه ، وهو أمر نلمس أثره فى الأناجيل الأربعة عند تصفحها ، ولا يوجد فيها نص صريح عن المسيح – عليه السلام – يدل على بنوته الحقيقية لله تعالى[٤] – التى يتمسك بها مؤلهو المسيح عليه السلام.

ومما يؤكد صحة هذا : كثرة ما ورد فى الأناجيل على لسان المسيح من أنه " ابن الإنسان " ، فقد استعمله – عليه السلام – دائماً على نفسه أكثر من ثلاثين مرة فى إنجيل " متى " ، وخمس عشرة مرة فى إنجيل " مرقس " ، وخمسا وعشرين مرة فى إنجيل " لوقا " ، وحوالى ثنتى عشرة مرة فى إنجيل " يوحنا " .

والغريب أن المسيحيين تركوا هذا اللقب الذى كان المسيح يحب أن يلقب نفسه به " ابن الإنسان " ، وتشبثوا بلقب آخر هو " ابن الله " !! .

---

(١) متى : ٢٦ / ٦٣ .

(٢) متى : ٤ / ٦ .

(٣) متى : ٢٦ / ٢٤.

(٤) قد يقال : إن المسيح عليه السلام أطلق على نفسه لقب " ابن الله " بطريق غير مباشر، أو بطريق اللزوم بقوله " إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم ... " (يوحنا ٢٠ / ١٧) ، إذ يلزم أن الله أبوه أن يكون المسيح ابنه؟ ويجاب عن ذلك بأنه على فرض صحة هذا النص وأمثاله يحمل الإطلاق على إرادة المعنى المجازي لا الحقيقي، وهو المحبة والقرب من الله تعالى.

فهلا قال النصارى فى المسيح ما قاله عن نفسه إنه: " ابن الإنسان " ؟ ! [(١)] وحتى لو قال المسيح عن نفسه : " أنا ابن الله " فهو على المعنى المجازى المعروف (المحبة والقرب) ... وقد أطلقه على غيره بهذا المعنى، فقال : " طوبى لصانعي السلام ، لأنهم أبناء الله يُدْعَوْنَ "[(٢)] .

[إن قول النصارى المسيح ابن الله – على المعنى الحقيقى للكلمة– ، يرده ويبطله ما قاله الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة ، فقال متى ــ على سبيل المثال ــ " هذه نسبة المسيح هو ابن داود بن إبراهيم"[(٣)] .

وهذا إقرار بأن عيسى مولود ، تناسل من ذرية داود النبى – عليه السلام – أى من جهة أمه مريم ، إذ لا أب له – من سبط يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، وكل من ثبت تناسله عن الآدميين هو بلا شك آدمى ، لأن الله القديم الأزلى لم يلد ولم يولد ، وكل ما سواه حادث[(٤)]] .

أقول : وهذه الكثرة في ورود عبارة " ابن الإنسان " عن المسيح عليه السلام ، وعن غيره ممن خاطبوه أو عاصروه وتحدثوا عنه لها مدلول ، وهو دفع ما يتوهمه النصارى وغيرهم من ألوهية المسيح عليه السلام

(١)التثليث بين الوثنية والمسيحية : أ د / محمود على حماية . صـ ٢٨ ، ٢٩ . ط ٣ : القاهرة – مكتبة النافذة ٢٠٠٥م .

(٢) انظر : متى ٥ / ٩ .

(٣) متى ١ / ١. تحت عنوان " نسب يسوع المسيح " والنص الوارد فيه : " كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم " والاختلاف لعله راجع إلى الترجمة .

(٤) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب : للقس إيسلم تورميدا الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسى . تحقيق أ.د / محمود على حماية . صـ ١٠٥ . ط ٤ : القاهرة – مكتبة النافذة . ٢٠٠٥ م.

، لكونه وُلد من غير أب ، بحيث لا يكون لذلك التوهم أثر يُذكَر في العقول أو القلوب في أي عصر من العصور.

ومن هنا ندرك الحكمة الإلهية في حفظ هذه العبارات وأمثالها كعبارة " ابن الإنسان "، " وابن داود " ، من التحريف والتبديل والتغيير، لتكون شارةَ صدق على بشرية المسيح عليه السلام ، ونبوته، ودليلاً دامغاً في نحر من يعتقد ألوهيته بأي وجه من الوجوه ، وفي أي عصر من العصور .....

بولس أول من أطلق لقب " ابن الله " على المسيح عليه السلام :

يقول د / موريس بوكاى :

[يجب ملاحظة أن نسب المسيح – عليه السلام – من جهة الرجال معدوم المعنى ، ولو كان من الضرورى إعطاء المسيح نسباً ، وهو وحيد مريم أمه ، وليس له أب بيولوجى ، فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة مريم فقط] (١) . حيث ولدت من أم وأب ، وتنتمى فى نسبها إلى داود النبى عليه السلام .

ويقول " شارل جينيبر " : [النتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هى : أن عيسى لم يقل عن نفسه إنه " ابن الله " ، وذلك تعبير لم يكن فى الواقع ليمثل – بالنسبة لليهود – سوى خطأ فاحش ، وضرب من ضروب السفة فى الدين ، كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير " ابن الله " على عيسى ، فتلك لغة لم يبدأ فى

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم " دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة " : د / موريس بوكاى . صـ ١٠٥ ط : مصر – دار المعارف . (د . ت) . وينظر : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية : أ / أحمد عبد الوهاب . صـ ٧٩ وما بعدها ط ٢ : القاهرة – مكتبة وهبة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية ، إنها اللغة التى استخدمها القديس بولس ، كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع"يوحنا " .

ولو أراد المسيح أن يتخذ لقباً لاتخذ لقب "ابن داود " المعروف بين بنى إسرائيل ، والذى كانوا يعتبرونه لقب المنقذ المنتظر ولكنه لم يفعل.] [(١)] وكذلك لقب " ابن الإنسان " كما نطقت نصوص الأناجيل .

سادساً : حمل لفظ " الأُبُوَّة والبُنُوَّة " في نصوص الكتاب المقدس على المعنى الحقيقي دون المجازي محال بالقرائن ودلائل السياق ، حفاظاً على أصل الديانة وهو التوحيد :

يقول الإمام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ : [إنه لا يوجد في كتب الأنبياء وكلامهم إطلاق اسم (الأب) والمراد به اللاهوت ، ولا إطلاق اسم (الابن) والمراد به شيء من اللاهوت، ولا كلمته ولا حياته، بل لا يوجد لفظ (الابن) إلا والمراد به المخلوق ، فلا يكون لفظ الابن إلا لابن مخلوق.

وحينئذ : يلزم من ذلك أن يكون مسمى الابن في حق المسيح هو الناسوت ، وهذا يبطل قولهم: إن الابن وروح القدس صفتان لله [(٢)] ، وأن المسيح اسم اللاهوت ، والناسوت ، فتبين أن نصوص كتب الأنبياء تُبْطِل مذهب النصارى ، فهم بين أمرين :

١- بين الإيمان بكلام الأنبياء وبطلان دينهم " يعني دينَهم المُحَرَّف المُبدَّل " .

(١) المسيحية نشأتها وتطورها : د / شارل جينيبر ترجمة الإمام / عبد الحليم محمود. صـــ ٥٠ – ٥١ . ط ٤ : مصر – دار المعارف (د . ت) .

(٢) وهي الكلمة أو العلم في حق المسيح ، وحياة الله بالنسبة لروح القدس .

وبين تصحيح دينهم ــ أي حكمهم عليه بالصحة رغم تحريفه وتبديله ــ وتكذيب الأنبياء][1]، وهم على الأمر الثاني ، إلا من تاب منهم عن الكفر، وآمن بأن عيسى عبد الله ورسوله، وأن الروح القدس هو أمين الوحي جبريل عليه السلام ، وأن الآب هو الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد الذي ليس له صاحبة ولا ولد ، وأنه دعا إلى الإيمان بوحدانيته كلُّ الرسل والأنبياء ــ عليهم السلام ــ وآمن بالنبي الخاتم محمد ﷺ ، وبكل ما جاء به من عند الله تعالى .

موافقة القرآن الكريم، والسنة النبوية لبقايا الحق من لأناجيل في بشرية المسيح عليه السلام :

ولقد وافق القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة بقايا الحق من الأناجيل في تقرير بشرية المسيح عيسى عليه السلام ، من ذلك :

قول الله تعالى : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)[2]

بيان مراد الآية الكريمة :

جاء في تفسير القرآن العظيم بياناً لمراد الآية الكريمة : [هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام بأنه سيوجد منها ولد عظيم له شأن كبير ، قال الله تعالى : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ) أي يولد ويكون وجوده بكلمة من الله أي يقول له كن فيكون، وهذا تفسير قوله تعالى : " مصدقاً بكلمة من الله " كما ذكره الجمهور " اسمه المسيح عيسى بن مريم " أي يكون هذا مشهوراً في الدنيا يعرفه المؤمنون بذلك ــ أي بأنه المسيح عيسى بن مريم ــ .

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : للإمام/ أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. مج٢ / ١٣٩ – ١٤٠ ، ط: الإسكندرية ــ دار ابن خلدون (د.ت).

(٢) آل عمران، آية : ٤٥.

وسمي المسيح قال بعض السلف : لكثرة سياحته ، وقيل : لأنه كان مسيح القدمين، لا أخمص لهما ، وقيل : لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برئ بإذن الله تعالى ، وقوله تعالى : " عيسى بن مريم " نسبة إلى أمه ، حيث لا أب له ، " وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين " أي : له وجاهة ومكانة عند الله تعالى في الدنيا ، بما يوحيه إليه من الشريعة، وينزله عليه من الكتاب، وغير ذلك مما منحه الله به، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيتقبل منه أسوة بإخوانه من أولي العزم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين] [(١)] .

وفي صفوة التفاسير : [" وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه " أي: بمولود يحصل بكلمة من الله بلا واسطة أب " اسمه المسيح عيسى بن مريم"، أي اسمه عيسى، ولقبه المسيح، ونسبه إلى أمه تنبيهاً على أنها تلده بلا أب، " وجيهاً في الدنيا والآخرة " أي : سيداً ومعظماً فيهما، " ومن المقربين " عند الله "] [(٢)]

وإذن : فالمسيح عليه السلام بشر، حيث إنه ابن مريم، وليس ابن الله كما ادعى النصارى.

رد القرآن الكريم على دعوى النصارى " المسيح ابن الله " :

وقد سجل القرآن الكريم دعوى النصارى هذه الماثلةَ في بنوة المسيح لله تعالى في قول الله جل شأنه " وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ

(١) تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ج ١ / ٣٦٣ ، ٣٦٤، الناشر : مكتبة دار التراث ، القاهرة (بدون تاريخ) .

(٢) صفوة التفاسير: أ.د / محمد علي الصابوني ، مج ١ / ٢٠٢ ، الناشر : دار القرآن الكريم – بيروت ط:٤ ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١م .

وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ "[1] .

بيان مقاصد الآيتين الكريمتين :

في هاتين الآيتين الكريمتين : إخبار من الله تعالى بفساد عَقَدِيٍّ وقع فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى تمثل في :

أولاً : ادعاء اليهود ألوهية نبي من أنبيائهم، هو عُزَيْر، حيث قالوا ببنوته لله تعالى .

ثانياً : ادعاء النصارى ألوهية رسولهم المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، حيث قولُهم ببنوته لله تعالى أيضاً، وابن الإله إله، إذ هو من جنس أبيه، ويرث صفاته.

ثالثاً : بيان أن كلاً من اليهود والنصارى لا يستندون في مَدْعاهم هذه إلى حجة مقنعة تدعمهم، أو دليل صحيح يؤيدهم، إنما هو التقليد والمحاكاة للكافرين قبلهم .

جاء في صفوة التفاسير :

[" " وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ " " والله تعالى واحد أحد فرد صمد، وإنما قالوا ذلك لأنه لم يبق فيهم بعد بُخْتَنَصَّرَ من يحفظ التوراة، فلما أحيا الله تعالى عزيراً[2] بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظاً ــ أي عن ظهر قلب ــ فتعجبوا من ذلك، وقالوا : ما هذا إلا لأنه ابن الله.

---

(١) سورة التوبة ، الآيتان ٣٠، ٣١ .

(٢) عزير نبي من أنبياء بني إسرائيل، وهو من ورد بشأنه قول الله تعالى " أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " [سورة البقرة، آية ٢٥٩].

" وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ " أي : وزعم[(١)] النصارى أن المسيح ابن الله، قالوا : لأن عيسى ولد بدون أب بشري، فلابد أن يكون اللهُ أباه.

قال تعالى رداً عليهم : " ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ " أي : ذلك القول الشنيع هو مجرد دعوى باللسان من غير دليل ولا برهان، ومن ثم: فلا أساس لقولهم هذا من الصحة، إذ القول يَقْوَى بقوة دليله، ويضعُف بضعفه.

وهذا يتضمن معنيين :

أحدهما : إلزامهم هذه المقالة، والتأكيد في ذلك.

والثاني : أنهم لا حجة لهم صحيحة يُعْتَدُّ بها عقلاً وشرعاً ، وإنما هو مجرد دعوى، كقولك لمن تكذبه: " هذا قولك بلسان ".

" يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ " أي : يشابهون بهذا القول الشنيع قولَ المشركين قبلهم : الملائكة بنات الله " تشابهت قلوبهم ".

" قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ " : دعاء عليهم بالهلاك، أي : أهلكهم الله، كيف يُصْرَفُونَ عن الحق إلى الباطل بعد وضوح الدليل على وحدانية الله تعالى في ألوهيته، وربوبيته، تلك الوحدانية التي ما بُعِث إليهم رسولُهم عيسى عليه السلام إلا لأجل دعوتهم إليها، وتثبيتها في قلوبهم، مع القيام بمقتضياتها من التكاليف الشرعية من العبادات والمعاملات والأخلاق.

" اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ " : أي : أطاع اليهود أحبارَهم، والنصارى رهبانَهم في التحليل والتحريم، وتركوا أمر الله تعالى ، فكأنهم عبدوهم من دون الله، والمعنى : أطاعوهم كما يطاع

(١) الزَّعْمُ : هو ادعاء الشيء بلا دليل صحيح، أو ادعاء الشيء ادعاءً قائماً على الظن، يقال: [زَعَمَ زَعْمَاً : ظَنَّ] " المعجم الوجيز : ٢٨٩ ". (مرجع سابق).

الرب، وإن كانوا لم يعبدوهم حقيقة، وهو التفسير المأثور عن رسول الله ﷺ .

قال عدي : ابن حاتم : (أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال : يا عدي: اطرح عنك هذا الوثن. قال : وسمعته ﷺ يقرأ سورة براءة " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم من دون الله ". فقلت يا رسول الله : لم يكونوا يعبدونهم. فقال ﷺ: (أليس يحرمون ما أحل اللهُ فيحرمون، ويحلون ما حرم اللهُ فيستحلون؟!!! فقلت : بلى. قال ﷺ : فذلك عبادتهم"[1] .

" والمسيح ابن مريم " أي اتخذه النصارى رباً معبوداً على الحقيقة، " وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون" أي : والحال أنهم ما أمروا على لسان الأنبياء ــ وفي مقدمتهم رسولهم عيسى عليه السلام ــ إلا بعبادة إله واحد، هو الله رب العالمين " لا إله إلا هو " لا معبود بحق سواه، " سبحانه عما يشركون " أي : تنزه الله عما يقول المشركون ، وتعالى علواً كبيراً][2] .

موافقة السنة النبوية لبقايا الحق من الأناجيل في بشرية المسيح عليه السلام:

وأما موافقة السنة النبوية لبقايا الحق من الأناجيل في أن المسيح عليه السلام هو ابن مريم وليس ابن الله، فمنها :

ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه [عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : " قال رسول الله ﷺ : " كل بني آدم يطعن الشيطان في

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه ــ أبواب التفسير ، سورة التوبة، ج ٥ / ١٩٥ رقم (٣٠٩٥) ، قال الترمذي : حديث غريب ، وأخرجه الطبراني في الكبير : ج ١٧ / ٩٢ رقم (٢١٨)، وحسنه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٧ / ٨٦١ رقم (٣٢٩٣) ، وهو من حديث عدي ابن حاتم .

(٢) صفوة التفاسير: أ.د / محمد علي الصابوني ، مج ١ / ٥٣١ بتصرف يسير(مرجع سابق).

جَنْبَيْه بإصبعه حين يولد غيرَ عيسى ابن مريم ، ذهب يطعن فطعنه في الحجاب "] [(١)] .

دلالة الحديث الشريف :

دل الحديث الشريف على جملة من الحقائق المنوطة برسول الله عيسى عليه السلام وبشريته، على النحو التالي :

= أن عيسى عليه السلام من جملة بني آدم : وهذا مستفاد من الاستثناء المتصل في الحديث الشريف الصريح : " كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم " .

وأفاد الاستثناء أن للشيطان سلطاناً على بني آدم من حيث الطعن الوارد في الحديث الشريف، وأن عيسى عليه السلام مستثنى من ذلك ، إكراماً له عليه السلام ، وحفظاً له من الشيطان وسوسةً وإغواءً .

= أنه عليه السلام مولود ، ومولود من مريم عليها السلام ، والإنسان من جنس من وَلَدَهُ ، فهو عيسى ابن مريم ، إنه عليه السلام إنسان تَوَلَّدَ من إنسان ، والإله لا يلد ولا يولد، قال الله تعالى : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) "[(٢)] .

= أن كل مولود له بداية، وله نهاية، والإله لا بداية لوجوده ، ولا نهاية لوجوده: قال تعالى : " هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "[(٣)] .

فهو سبحانه الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء.

---

(١) كتاب ٦٣ : بدء الخلق ، باب ١١: صفة إبليس وجنوده. رقم (٣٢٨٦) .

(٢) سورة الإخلاص .

(٣) سورة الحديد ، آية ٣ .

= أنه عليه السلام مُرَكَّب من أجزاء: ذو جسد وجرم ، يشغل حيزاً ، حيث قول سيدنا رسول الله ﷺ : " فطعن في الحجاب " .

[والحجاب : هو الجلدة التي فيها الجنين، أو الثوب الملفوف على الطفل ــ والأول أرجح ــ أو المشيمة التي فيها الولد] (١) .

[قال القرطبي: هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط، فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها، حيث قالت:" إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ " (٢) .

ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى عليه السلام] (٣) .

والشيطان مخلوق ، فلو كان عيسى إلهاً ، أيكون مظنة لإغواء الشيطان، وسلطانه عليه ؟!! .

من هنا نعلم :

= أن عيسى عليه السلام بشر، ولولا حفظ الله تعالى إياه بمقتضى رسالته ونبوته لكان للشيطان سلطان عليه .

= أن الله تعالى هو وحده الخالق، والخالق من شأنه وحده أن يكون مالكاً لمقاليد الأمور في كونه الفسيح المخلوق بما فيه ، ومن فيه ، بيده الأمر ، والضر والنفع ، قال جل شأنه : " أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ " (٤) .

وكيف يضار خالق من مخلوق، أياً كان ذلك المخلوق من إنس أو جان أو ملائكة أو حيوان ؟!!! .

---

(١) فتح الباري : للإمام ابن حجر العسقلاني. ٦ / ٣٩٤

(٢) سورة آل عمران، من آية ٣٦.

(٣) فتح الباري : ٦ / ٥٤١ .

(٤) سورة الأعراف ، من آية ٥٤.

تفسير بنوة المسيح عيسى عليه السلام لله تعالى عند النصارى، والرد عليهم .

لقد حمل النصارى بنوة المسيح عيسى عليه السلام لله تعالى على الحقيقة لا على المجاز ــ كما سبق ــ ، ومع اتفاقهم في حملها على أنها بنوة حقيقية تستلزم القول بألوهيته اختلفوا هل هذه البنوة الحقيقية بنوة معنوية روحية، أم هي بنوة عضوية " جسدية تناسلية " تمت بالتزاوج بين الله ومريم كسائر البشر ؟ وحاشاه سبحانه. انقسموا إلى فريقين :

مذهب الفريق الأول :

= يذهب هذا الفريق ــ وهم أكثر النصارى أو أكثر رجال الدين المسيحي ــ إلى أن بنوة المسيح لله هي بنوة معنوية

وقد افترق هذا الفريق إلى فرقتين :

أ– فرقة تقول : بأنها بنوة معنوية مدركة ومفهومة.

ب– وفرقة تقول إنها بنوة معنوية غامضة غير مفهومة، لأنها فوق مستوى مداركنا.

وإلى البيان بعد الإجمال :

أ– أما الفرقة الذاهبة إلى أنها بنوة معنوية مفهومة ومُدْرَكَة فالمسيح عليه السلام ــ في نظرهم ــ تَوَلَّد من الله كما يتولد الفكر من العقل، أو انبثق من الله كما ينبثق الفكر من العقل ، والنورُ والحرارة من النار، ومن ثم فهو إله ... ، وهذا كلام يحتاج إلى دليل من أناجيلهم ، أو من كتابهم بصفة عامة ، ولا دليل...

يقول أحد علماء النصارى : [إن بنوة عيسى لله ليست بنوة جسدية تناسلية ، إنما هى بنوة معنوية روحية مثل بنوة الفكر للعقل ، ومثل بنوة النور والحرارة للنار[(١)]] .

(١) نقلاً عن كتاب : مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه : أ د / عبد العظيم إبراهيم محمد المطعنى صـ ٦٦ . ط٢ : القاهرة – مكتبة وهبة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥ م .

لعله يقصد ببنوة الفكر للعقل : – أن الفكر وليد العقل ، يتفرع منه كما يتفرع الولد من أبيه ، فالعقل أصل الفكر ومصدره ، كما أن الأب أصل للولد ومصدره ، ويقصد ببنوة النور والحرارة للنار أن كليهما متولد منها .

وأقول : هذا الادعاء مخالف للحقيقة والواقع ، وذلك للآتي :

= أن عيسى ــ عليه السلام ــ بشر مكوَّن من جسد وروح ، تولَّدَ من أمه مريم عليها السلام، وانبثق منها كأي طفل بعد تمام تسعة أشهر قضاها في رحم أمه ، فهو ابن مريم ، وليس ابن الله، وبنوته لها بنوة عضوية جسدية تناسل منها بنفخة الملاك جبريل عليه السلام ، بأمر من الله تعالى ، وكانت هذه النفخة بمثابة النطفة ، فَعَلامَ حملُ البنوةِ هنا على المحمل المعقَّد الغامض الذي لا يفهم منه العاقل شيئاً سوى أنه خرافة من نسج الخيال، لا يمتُّ إلى المعقولية بصلة ، فضلاً عن الدين والشرع ، إنه محض اختلاق لدعم قولهم بألوهية المسيح كنتيجة لازمة للقول ببنوته لله تعالى بنوة حقيقية.

جاء في إنجيل يوحنا على لسان المسيح عليه السلام : [" وأنا إنسان ، قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله "] (١) ، والإنسان يولد من جنس من وَلَدَه.

= أن عيسى – عليه السلام – عبد رسول ، بعثه ربه – سبحانه وتعالى – برسالة التوحيد ، فلا حمل للفظ بنوته لله تعالى إلا على المجاز ، بمعنى المحبة والقرب ، وذلك توفيقاً بين النصوص الواردة بلفظ " البنوة " وبين كونه عبداً رسولاً داعياً إلى وحدانية الله تعالى.

(١) يوحنا : ٨ / ٤٠ .

قال المسيح مناجياً ربه : " وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته"] (١) ، فهو ــ عليه السلام ــ يُقِرُّ ويشهد أن لا إله إلا الله ، وأنه رسول الله .

هذا ولم يقل أحد ببنوة الفكر للعقل ، ولا ببنوة النور والحرارة للنار ، وتفسيرهم لبنوة عيسى لله تعالى بهذا المعنى يحتاج إلى دليل، لأن الأمر يتعلق بالعقيدة، فلا يصح فيها التخمين . ولا دليلَ يثبت ادعاءهم .

يقول أ د / المطعنى ـ رحمه الله تعالى ـ : [إن فكرة بنوة عيسى المقيسة هنا ، تختلف كل الاختلاف عن الفكرة المقيس عليها ، وهى صلة الفكر بالعقل، وصلة حرارة النار ونورها بالنار .

فعيسى – عليه السلام – مولود قطعاً لأم معروفة ، حملت به كما تحمل النساء ، ووضعته كما يضعن ، وعيسى – عليه السلام – جسد وروح ، وعقل متميز تماماً عن أمه كما تميز الأطفال عن أمهاتهم ، لكل منهم كيانه المستقل ، يحس ويشعر ويأكل ويشرب، ويصحو وينام، ويتألم ويسعد، له بداية، وله نهاية.

بينما الفكر معنى من المعانى يُدْرَكُ بالذهن ، وليس له صورة ولا شكل ولا لون ولا تميُّز يشغل حيزاً من الفراغ ، ومع هذا الفارق الجوهرى بين ما يريدون إثباته من بنوة عيسى لله – سبحانه – وبين الفكر من حيث صلته بمصدره " العقل " فإن أحداً لم يقل إن الفكر ابن العقل، وهو لا يعنى أن ما يقول على سبيل الحقيقة، إنما هو على ضرب من المجاز، والتأويل .

وما يقال فى صلة الفكر بالعقل يقال فى صلة الحرارة والنور بمصدريهما وهو "النار ".

---

(١) إنجيل يوحنا ١٧ / ٣ .

فليست الحرارة شيئاً غير النار ، وليست النار شيئاً غير الحرارة ، ولكنهما متلازمان ، فبلوغ الحرارة درجة معينة تتولد عنها النار بحيث لا يُدْرَى أيهما بنت الأخرى ، كما لا يُدرى الفرخة من البيضة أم البيضة من الفرخة ، والنور أمر اعتبارى ، وإن بدا له لون فى الظاهر، فليس له جسم ولا حجم ولا وزن .

ومع هذا كله فليست بنوة النار للحرارة ، أو الحرارة للنار ، أو النور للنار ، ليست هذه كلها بنوة حقيقية ، كما يلزم من قولكم ببنوة عيسى لله – سبحانه؛ لأن فى بنوة عيسى لله فصلتم بين الأقانيم أو العناصر فصلاً واضحاً ، وهو كذلك فى الواقع ، فالله ليس هو عيسى، ولا عيسى هو الله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) [(١)]، وهذا ــ أي قولكم ببنوة عيسى لله ــ يُلْزِمكم بالتسليم بوجود الصاحبة – الزوجة – لله سبحانه ، لأنها موجودة فى الواقع " مريم أم المسيح " ، فلا تستطيعون التخلص منها ، وإن جادلتم ــ في أنها بنوة معنوية، وأصررتم على القول بها ــ فلن يَقْنَعَ أحد بما تقولون ، إلا أن يلغى ذلك الأحد عقله وفكره .] [(٢)]، والله تعالى ليس له زوجة ، ومن ثم فليس له ابن، وإذن فالمسيح عيسى عليه السلام إنسان، تَوَلَّدَ من إنسان، هي مريم عليها السلام، فهو ابن مريم، وليس ابنَ الله .

وبهذا يتبين :

= أن قياس بنوة المسيح لله تعالى على بنوة الفكر للعقل، وبنوة النور والحرارة للنار قياس على غير نظير، حيث اختلاف المَقِيسِ (بنوة المسيح لله) عن المَقِيس عليه (بنوة الفكر للعقل، وبنوة النور

(١)الشورى : ١١ .

(٢)مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه : أ د / عبد العظيم المطعنى . صـ ٦٦ ، ٦٧ .

والحرارة للنار)، ذلك الاختلاف يتمثل في أن المسيح عليه السلام جسد ودم وروح، والفكر أمر معنوي ، لا شكل لـــه ولا لـــون ولا رائحـــة ... ، ويشترط لصحة القياس وجود وجه شبه بين المقيس والمقيس عليه، ولا وجه البتة ، ومن ثم لا يصلح أن يكون القياس هنـــا دلـــيلاً أو محـــلاً للاستدلال ...

= أن الفكر ليس ابناً للعقل، وكذا النور والحرارة بالنسبة للنار، وإن تكن بُنوّةً فهي على سبيل المجاز لا الحقيقة، ويلزم من هذا : أن تكـــون بنوة المسيح لله تعالى بنوة مجازية، تعني المحبة والقرب من الله تعالى.

وهذا المعنى ليس مقصوراً على المسيح عليه السلام ، بل يتناوله وكـــلّ مسلم صالح، وقد أطلقه المسيح في عهده على بعض الصالحين ــ كمـــا سبق ــ .

= أنه ببطلان القياس السابق الذي استخدمه النصارى يَبطلُ القـــولُ ببنوة المسيح بنوة حقيقية، ومن ثم تبطل ألوهيته...

= أنه إن أصرَّ النصارى على البنوة المُستلزِمة للألوهية فلا تكون البنوة هنا بنوة معنوية روحية ــ كما يدَّعون ــ ، بل تكون حينئذ بنـــوة مادية جسدية يَلزم عنها وجودُ الزوجة " مريم " و" الولد "، وهو مـــا لا يقولون به ــ أعني ذلك الفريق الأول ــ ، فلا يبقى إلا أن يقروا بأنهـــا بنوة مجازية تعنى المحبة والقرب، ولا تستلزم ألوهيـــة المســـيح عليه السلام مطلقاً .

فليتبعوا تعاليم الأناجيل المصرِّحة ببشرية المسيح عليه السلام ، وعبوديته لله تعالى، وكونِه رسولاً من قِبَلِه سبحانه، وعلى لسان المسيح نفسه[(١)] .

(١) سيأتي بيان لذلك إن شاء الله تعالى في فصل " إبطال ألوهية المسيح عليه السلام مـــن خـــلال بيـــان حقيقته في الكتاب المقدس .

ب- وأما الفرقة الذاهبة إلى غموض هذه البنوة المعنوية، وعدم فهمها، وأنها فوق مستوى مداركنا ، فهو تفسير لا يستند إلى دليل يتكئون عليه في ادعائهم ، وهي عندهم بنوة معنوية غير مفهومة يلزم عنها ــ كما يدعون ويزعمون ــ ألوهية المسيح !!! .

جاء في كتاب " الدين المسيحي "[1] : [إن بنوة الابن للآب ليست بنوة جسدية طبيعية بالمعنى الذي يتسرب إلى الأذهان لدى سَمْعِها ، بل هي نسبة روحية سرمدية تفوق مستوى مداركنا المحدودة].

ويقولون أيضاً : [إنه توجد بين الأقنوم[2] الأول ــ الآب ــ ، وبين الأقنوم الثاني ــ الابن ــ نسبة غير مدركة منا ، وغير معروفة عندنا][3] .

ولا شك أن قولهم بأن نسبة البنوة بين المسيح والله ، أو بين الابن والآب نسبة معنوية غير مفهومة قول لا معنى له، ويُشبه في اللامعقولية إلى حد كبير قولهم بأن "التثليث توحيد ".

□

---

(١) للدكتور / إبراهيم سعيد ص٣ ، وقد نقلتُه عن كتاب : تأثر المسيحية بالأديان الوضعية : أ.د / أحمد علي عجيبة ص ٤٣٩ ، ط: القاهرة – دار الآفاق ٢٠٠٦م .

(٢) في معجم متن اللغة مج ٦٤٤/٤: [الأُقْنُوم: الأصل ، "ــ والشخص أو الذات ــ رومية " ج " أقانيم"] مادة" قَنِمَ" ، [والأصل ما يُبنى عليه الشيء، أو يُسند وجوده إليه] معجم متن اللغة مج١٨٢/١ ، مادة "أَصِلَ" ، [والأقانيم الثلاثة عند النصارى : " الآب والابن والروح القدس "] المعجم الوسيط : ٧٩٣/٢ .

أقول : وإذا كان الأقنوم يعني اصطلاحاً : الأصل أو الذات. فكيف يجعلون أفراده صفات لا ذوات ، وذلك كأقنوم الإبن مُمَثَّلاً في صفة العلم الإلهي، أو الكلام الإلهي، أو هما معاً ، وكأقنوم الروح القدس ممثلاً في صفة الحياة (حياة الله تعالى) ؟!!!. إن هذا يؤكد وقوع القوم في التناقض، حيث لا تَوافُقَ بين المعنى الاصطلاحي للأقنوم وبين أفراده... ، إن الأقنوم يقتضي أن يكون أفراده ذواتاً لا صفاتٍ، وذلك تناسباً مع مفهومه الاصطلاحي.

(٣) تأثر المسيحية بالأديان الوضعية : ص٤٤٠ (مرجع سابق) .

مذهب الفريق الثاني :

ويقول ذلك الفريق ـ وهم قلة قليلة ـ إن بنوة المسيح لله تعالى بنوة عضوية (أي جسدية تناسلية) .

ويُرَدُّ عليهم بما يلي :

= إن بنوة المسيح عليه السلام لله تعالى بالمعنى العضوي أو المادي أو التناسلي بنوةٌ يُبطلها العقلُ المجرد من كل جهاتها وزواياها ، بحيث تُسَلِّمُ له أولياتُ العقول وبدهياته لذلك .

جاء في الجواب الصحيح : [بعض النصارى يرون بنوة المسيح لله بنوة عضوية تناسلية، استلزمت أن يكون له ــ أي لله ــ صاحبة " زوجة "] (١) .

ولو أن هؤلاء عرفوا ما يجب لله تعالى، وما يجوز في حقه سبحانه، وما يستحيل ما بلغوا هذه الدرجة من الفكر ، وهذا الذي ادَّعَوْه باطل عقلاً من عدة زوايا .

[= أن الإله يجب أن يكون واجب الوجود لذاته، فَوَلَدُهُ إما أن يكون أيضاً واجب الوجود أَوْ لا يكون.

فإن كان واجب الوجود لذاته كان مستقلاً بنفسه ، قائماً بذاته ، لا تعلُّقَ له في وجوده بالآخر، ومن كان كذلك لم يكن مولوداً البتة ، لأن المَوْلودية تُشعِر بالفرعية والحاجة .

وإن كان ذلك المولود ممكن الوجود لذاته فحينئذ يكون وجوده بإيجاد واجب الوجود لذاته، ومن كان كذلك يكون مخلوقاً لا ولداً، فثبت أن مَنْ عَرَفَ أن الإله ما هو؟ امتنع أن يُثبِت له الولدَ، ثم إن الولد يحتاج

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ج ٣ /٧٢ ، ط: الإسكندرية ــ دار ابن خلدون (د.ت) .

أن يقوم مقام والده بعد فنائه، وهذا إنما يُعْقَل في حق مَنْ يَفْنَى، أما من تقدس عن ذلك ــ أي عن الفناء ــ فلا يُعْقَلُ الولدُ في حقه.

والولد يكون مُتَولَّداً من جزء من أجزاء الوالد، وهذا لا يعقل إلا في حق من يكون مركَّباً، ويمكن انفصال بعض أجزائه عنه، وهذا في حق الواحد الأحد الفرد الواجب لذاته محال.

وبعض طوائف النصارى الذين قالوا إن المسيح ولدٌ لله كما يكون الإنسان ولداً لأبيه فهو لا يُتصور إلا ممن تكون له صاحبة " زوجة " وشهوة، وينفصل عنه جزء، ويحتبس في الرحم، وهذا لا يَثْبُت إلا في حق الجسم الذي يصح عليه الاجتماع والافتراق وغيرهما من الأعراض، وذلك في خالق العالم محال ، فثبت بطلان ما ذهبت إليه النصارى] [1] .

وأقول : إن بنوة المسيح لله تعالى التي ادعاها النصارى سواء أكانت بنوة معنوية مفهومة أو غير مفهومة كما ادعى الفريق الأول ، أم بنوة عضوية تناسلية كما ادعى الفريق الثاني فإنها لا تؤثر على النتيجة بشيء ، فهم على كلا المعنيين أو التفْسِيرَيْن يقولون بألوهية المسيح عليه السلام لله، وذلك من منطلق حملهم بنوته لله تعالى على الحقيقة.

(١) الفارق بين المخلوق والخالق : للشيخ / عبد الرحمن الباجه جي زادة – ص ١٣٩ ، ١٤٠ باختصار ، ط١ : القاهرة ، مكتبة النافذة ٢٠٠٦م .

المبحث الخامس

تسمية المسيح بـ " كلمة الله " في الأناجيل، والقرآن الكريم

استدل النصارى على ألوهية المسيح عليه السلام بإطلاق (كلمة الله) عليه في الأناجيل ، والقرآن الكريم .

ففى إنجيل يوحنا: [" فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله[(١)] ... والكلمة صار جسداً وحل بيننا][(٢)] .

فسّر أكثر طوائف (الكاثوليك[(٣)] والبروتستانت[(٤)]) " الكلمة " بأنها عيسى بمعنى أن صفة الله وهى كلامه حلّت فى عيسى وهو فى بطن

---

(١) يوحنا : ١ / ١ .

(٢) يوحنا : ١ / ١٤ .

(٣) الكاثوليك : كنيستهم تسمى الكنيسة الكاثوليكية، أو الغربية ، أو اللاتينية، أو البطرسية ، أو الرسولية ، ومعنى الكاثوليكية : أي العامة ، لأنها تُدْعَى أمّ الكنائس ومعلمتها، ولأنها وحدها هي التي تنشر المسيحية في العالم، وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة أى إلى بلاد : إيطاليا ، وبلجيكا، وفرنسا ، وأسبانيا ، والبرتغال، وإن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان.

وسميت الكنيسةَ البطرسية أو الرسوليةَ لأن أتباعها يَدَّعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم، والباباوات في روما خلفاؤه، والكنيسة الكاثوليكية تتبع النظام البابوي، ويرأسه البابا والكرازلة ، وهم أصحاب الحق الأول والأخير في تنظيم الكنيسة ، إذ يتكون منهم المجمع الكنائسي الذي يُصدِر إرادات بابوية سامية ، هي إرادات إلهية ، لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض ، فهو ممثل الله ، ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدل أو المناقشة. [المسيحية أ.د / أحمد شلبي ، ص : ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، الناشر : مكتبة النهضة ــ القاهرة. ط١: ٢٠٠٠م].

(٤) البروتستانت : إن كلمة بروتستانت " تشير إلى أولئك الذين اعتنقوا نمطاً معيناً في التعبير عن الإيمان المسيحي، الذي نشأ عن حركة الإصلاح التي قامت في القرن السادس عشر، احتجاجاً على بعض ممارسات ومعتقدات الكنيسة الكاثوليكية.

ويشتق التعبير من الكلمة اللاتينية " بروستاري " التي لا تعني فقط المعارضة ، بل وأيضاً المجاهرة بالإيمان، لقد أراد أتباع هذا الخط العودة إلى ما اعتبروه الشكل النقي لإيمان الكنيسة الأولى.

وكلمة " إنجيليين " هي مرادف لكلمة " بروتستانت " ، وهي صارت تعني : أتباع الكنائس البروتستانتية التي يفضل أبناؤها تعبير الكنائس الإنجيلية. [موسوعة الأديان الميسرة : لنخبة من العلماء ، ص : ١٣٤ ، ط٢ : بيروت ــ دار النفائس ــ ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م] .

أمه ، فصار إلهاً ، وصار هو عينَ الكلمة التى حلت فيه ، حتى أصبح يسمى بها، وأصبحت عَلَماً عليه ، فهذه الصفة أكسبته الألوهية بحلولها فيه .

وهذا يعنى : أن كلمة الله انقلبت لحماً ودماً ــ أي في صورة إنسان ــ ، فأكلت الخبز ، وشربت الماء ... إلخ .

يقول حبيب سعيد تعليقاً على النص الإنجيلي : [وهذا الكلمة هو الأقنوم الثاني في الثالوث الأقدس ، هو بداية كل الأشياء ونهايتها ، هو الكائن قبل الخليقة ، هو ملك الكون الذي صنع كل شيء] (١) .

[" في البدء كان الكلمة "، هذا هو الكلمة في أزليته ، " والكلمة كان عند الله " هذا هو الكلمة في ذاتيته ، " وكان الكلمة الله " ، هذا هو الكلمة في طبيعته] (٢)

[وهذه الآية ــ أو الفقرة ــ من إنجيل يوحنا تثبت لاهوت (ألوهية) المسيح ، إذ تتضمن :

(١) أن يسوع المسيح أزلي ، أي كان في البدء قبل وجود العالم .

(٢) أن بينه وبين الله الاتحاد التام (والكلمة كان عند الله) .

(٣) أنه هو الله (وكان الكلمة الله)] (٣) .

وأما القرآن فيقول الله فيه : " إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ " (٤) .

---

(١) أديان العالم : د / حبيب سعيد ص ٢٩٥ ، ط: القاهرة ــ دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية (د.ت) .

(٢) شرح بشارة يوحنا : للدكتور القس/ إبراهيم سعيد ص٣٢ ط٣: القاهرة – دار الجيل للطباعة (د.ت) .

(٣) انظر : علم اللاهوت (النظامي) : ص ٣٣٦ – ٣٣٧ (مرجع سابق) .

(٤) النساء : من آية ١٧١ .

إبطال هذا الباعث :

لإبطال هذا الباعث أقول :

أولاً : إطلاق الكلمة على المسيح عيسى عليه السلام تعنى فى الحقيقة أنه خُلق بكلمة " كن " فكان: و" كن " فعل أمر ، وهي من جملة كلام الله تعالى ، والكلام صفة من صفاته سبحانه ، يؤكد ذلك قولُ الله تعالى " إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ "[(١)] .

وقول النصارى بأن (الكلمة) ــ وهي صفة من صفات الله تعالى ــ حلّت في جسد المسيح عليه السلام مجافٍ للعقل ، إذ الصفة شيء معنوي ، وليست جسماً حتى يمكن أن تفارق موصوفها، وتنتقل إلى جسم آخر، وتحل فيه ، هذا محال[(٢)] ...

فعيسى عليه السلام صار بالكلمة إنساناً ، وليست الكلمة صارت عيسى، فالمراد أنه عليه السلام خُلِقَ بكلمة " كن" ، التى هى كلمة من كلمات الله تعالى ، فكان .

يقول الإمام القرافى رحمه الله تعالى : [وأما الكلمة فمعناها : أن الله تعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

فما من موجود إلا وهو منسوب إلى كلمة " كن " ، فلما أوجد الله تعالى عيسى – عليه السلام – قال له كن فى بطن أمك فكان .

وتخصيصه بذلك ــ أي بإطلاق الكلمة عليه ــ لشرفه وعلو منزلته ، ولغرابة خلقه وولادته، حيث خلق من أم دون أب، فهذا معنى معقول مُتَصَوَّر ليس فيه شيء .

---

(١) سورة آل عمران : ٥٩ .

(٢) هذا فضلاً عن أن حلول أجسام الحيوانات بعضها في بعض محال، رغم ما بينهما من تجانس، بل وتجانس واشتراك كالإنسان والإنسان .

أما أن يعتقد النصارى بأن صفة من صفات الله تعالى – وهى كلامه – حلت فى ناسوت المسيح – جسد المسيح فصار إلهاً – ، فكيف يمكن عقلاً أن تفارق الصفة الموصوف ؟!!

إنه لو قيل لأحدنا إن علمك أو حياتك انتقلت لزيد ، لأنكر ذلك كل عاقل ، بل الذى يمكن أن يوجد فى الغير مثل تلك الصفة ، وأما أنها هى فى نفسها تتحرك من محل إلى محل فمحال ، لأن الحركات من صفات الأجسام ، والصفة ليست جسماً – إنها شيء معنوى – .

فإن كانت النصارى تعتقد أن الصفات أجسام ، والأجسام صفات ، وأن أحكام المختلفات وإن تباينت شيء واحد كادعائهم الصفة عين الموصوف – ، سقطت مكالمتهم ، وذلك هو الظن بهم ، بل يقطع بأنهم أبعد ما يكونون عن موارد العقل ، ومدارك النظر .] [(١)] .

وإذن: [فالكلمة في نص يوحنا والتي أُطْلِقت على المسيح هي الأمر الإلهي "كن " الذي به كان ، ويكون كل شيء .

ففي المزمور : " بكلمة الله ــ وهي " كُنْ " ــ صُنِعَت السماواتُ وبنَسَمَة فيه كلُّ جنودِها " [(٢)] .

" والكلمة كان عند الله " أي كان الله عز وجل أزلاً وأبداً موصوفاً بها، فهي من صفاته الأزلية ، إذ الإله لا يتصور أن يكون غير متكلم .

" وكان الكلمة الله " : الكلام على حذف مضاف، أي وكان رب الكلمة الله ، فهو صاحب الأمر والنهي على الإطلاق .

---

(١)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة : للإمام القرافى. تحقيق أ د / بكر زكى عوض صـ ٧٩ ، ٨١. (مرجع سابق) .

(٢) ٣٣ / ٦ . في الطبعة التي بين يدي من الكتاب المقدس في نفس المزمور ورد النص هكذا : " بكلمة الرب ..... " .

" والكلمة صار جسداً " : فيه حذف المضاف أيضاً ، والتقـدير : " وأثر الكلمة صار جسداً ".

فالكلمة إذن هي الأمر الإلهي لا المسيح ، ولأن الله سبحانه وتعالى محال أن يتحول إلى جسد] [(١)] .

وهذا الحمل المجازي للنص يتوافق مع عقيدة الإسلام التي جاء بها رسل الله تعالى وأنبياؤه عليهم السلام .

إذن : هذه الفقرات في نص يوحنا على فرض ثبوتها عن المسـيح عليه السلام لا يصح بحال حملها على ظاهرها، ويجب تأويلها بما يتفق مع ما جاء عن الرسل والأنبياء عليهم السلام بمن فيهم عيسـى عليه السلام ، حيـث التوحيد الخالص لله عز وجل ، وتنزيهه عن الشريك ، وعن كل مـا لا يليق بذاته المقدسة ....

ثانياً : تسمية القرآن عيسى – عليه السلام - بالكلمة من قبيل تسمية المفعول بالمصدر، أو المسبب بالسبب :

يقول الله تعالى : (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ) [(٢)] .

وذلك تسمية للمفعول بالمصدر ، إذ المـراد بكونـه – عليه السلام – " كلمة الله " المخلوق بكلمة الله وهى " كن " .

والهدف من ذلك التعبير – وهو التعبير عن المفعول بالمصـدر – المبالغة ، وذلك لغرابة خلقه – عليه السلام – ، ومباينته للمألوف ، حيـث ولد من غير أب .

(١) انظر : لماذا اخترت الإسلام ؟ : للشماس / جمال زكريا أرامانيوس (سابقاً) ص٢٢ . (مرجع سابق) .

(٢) النساء : ١٧١ .

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى : [وفى لغة العرب التى نزل بها القرآن ، أن يسمى المفعول باسم المصدر، فيسمى المخلوق خلقاً لقوله تعالى : (هَذَا خَلقُ اللهُ)[1] . ويقال : درهم ضرّب الأمير . أى مضروب الأمير .

ولهذا يسمى المأمور به أمراً ، والمقدور قُدرَةً وقَدَراً ، والمعلوم علماً ، والمرحوم به رحمة ، كقوله تعالى : (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً)[2] ، وقوله سبحانه : (أَتَىَ أَمرُ اللهُ فَلاَ تَستَعجِلُوه)[3] .

فتسمية المخلوق بالكلمة من هذا الباب[4]] .

وإن شئت قلت :

إن تسمية المسيح عيسى ــ عليه السلام ــ بالكلمة هي من باب إطلاق السبب وإرادة المُسبَّب ، أو إطلاق السبب على المسبب .

فالكلمة سبب ، وعيسى عليه السلام مسبَّبٌ عن الكلمة .

يقول صاحب : " الفارق بين المخلوق والخالق : [والفهم الصحيح لفقرة : "المسيح كلمة الله" أن تسميته كلمة الله، إنما هو بطريق المجاز ، ومعناه الحقيق هو : " كن التى بها توجد الكائنات ، فإطلاقها على المسيح من إطلاق اسم السبب على المسبب ، وذلك لكونه على خلاف أفراد بنى آدم ، فكان تأثير الكلمة فى حقه أظهر وأكمل .

---

(١) لقمان : ١١ .

(٢) الأحزاب : ٣٨ .

(٣) النحل : ١ .

(٤) دقائق التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية) جمع وتقديم وتحقيق : أ د / محمد السيد الجليند ح ٢ / ٨٤ ، ٨٥ . ط ١ : القاهرة – دار الأنصار ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م . نقلاً عن : نصارى نجران بين المجادلة والمباهله : أ د / أحمد على عجيبة صـ ٧٤ .

وقد قال الله تعالى فى القرآن الكريم : (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ) [(١)] ، وقال تعالى : (إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) [(٢)]

وقال جل شأنه : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)] [(٣)] [(٤)] ، وقوله تعالى : (كُن فَيَكُونُ) تفسير لإطلاق الكلمة على عيسى ، والقرآن يفسر بعضه بعضا .

[فاللغة فيها شيء اسمه المجاز ، وهو هنا يسمى " مجازا مرسلاً " علاقته السببية ، أى تسمية الشيء بسببه ، فلما كانت كلمة " كن " سبباً فى إيجاد عيسى بلا واسطة " أب " سمى عيسى بها ، تذكيراً بعظمة قدرة الله وطلاقتها] [(٥)] .

[والعرب تسمى الشيء باسم الشيء إذا كان صادراً عنه [(٦)]] وعيسى صدر عن كلمة " كن " فسمى بها .

ومما سبق : يؤكد للقارئ أن تفسير النصارى الكلمةَ في النص الإنجيلي ، والنص القرآني بالمسيح ــ عليه السلام ــ، وما ترتب على ذلك من قولهم بألوهيته من خلال فهمهم الخاطئ لهذه النصوص سببه هو جهلهم

---

(١) النساء : ١٧١ .

(٢) آل عمران : ٤٥ .

(٣) آل عمران : ٥٩ .

(٤) الفارق بين المخلوق والخالق : للشيخ / عبد الرحمن الباجه جى زاده . صـ ٤٠٣ ، ٤٠٤ باختصار . (مرجع سابق)، وانظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : للإمام/ ابن تيمية ، مج٢ / ١٩٠ ، ١٩١ .

(٥) مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه: أ د / عبد العظيم المطعنى . صـ ٩١، ط٢: القاهرة ، مكتبة وهبة ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥م .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : مح ٣/ ٢١٢١ .

ببلاغة اللغة ومجازاتها... !! ، لذا كان تفسيرهم للكلمة مصادماً للفطرة، ولا يستقيم مع النص، وفيه من الافتعال والتكلّف ما يجافي الدينَ والعلمَ والعقلَ والواقعَ .

وخلاصة القول : أن إطلاق الكلمة على المسيح عيسى – عليه السلام – فى نص يوحنا – على فرض ثبوت النص وصحته – يعنى :

أن المسيح عيسى – عليه السلام – كسائر المخلوقات ، خلقه الله تعالى بكلمة " كن " فكان . وهذا المعنى بصفة عامة مقرر فى القرآن الكريم ، قال تعالى : (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) [(١)] وعيسى شيء من الأشياء .

أن إطلاق الكلمة على المسيح عيسى – عليه السلام – أو تسميته بها ، من باب تسمية المفعول باسم مصدره ، أو من باب تسمية المسبب باسم سببه ، على معنى أن المسيح – عليه السلام – مخلوق بكلمة الله ، وهى " كن"، فالكلمة سبب فى خلق عيسى ، والمسيح مسبب عن الكلمة .

والقرآن الكريم سماه كلمة بهذا المعنى قال سبحانه : (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ) [(٢)] .

ثالثاً : اضطراب نص " يوحنا " فى اللفظ وفى المعنى ، إن حمل على ظاهره :

يقول يوحنا : [" فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله" [(٣)] ، ثم قال : " والكلمة صار جسداً وحل بيننا [(٤)] "] .

جاء فى " الفارق بين المخلوق والخالق " على لسان مؤلفه رداً لهذا الادعاء :

[إن هذه الفقرات مع كونها باطلةً من حيث المعنى – إن حملت على

---

(١) النحل : ٤٠ .

(٢) النساء : من آية ١٧١ .

(٣) ١ / ١ .

(٤) ١ / ١٤ .

ظاهرها – ، فهى متناقضة متنافية غير قابلة للتعقل ولا صالحة للتوجيه، فإن قوله : " والكلمة كان عند الله " لايلتئم مع قوله : " وكان الكلمة الله " .

فإذا كان الله عين الكلمة لا يصح ان تكون الكلمة عنده ، لأن العندية تقتضى المغايرة ، لأنها عبارة عن حصول شيء عند شيء ، كحصول المال عند زيد ، ولا شك أن المال غير زيد ، وزيد غير المال.

فكيف تكون الكلمة عنده ، وتكون عينه؟!! [(١)] .

[وإن اضطراب هذه الفقرات من جهة لفظها واضح، فإن ذلك بمنزلة قول القائل : الكلام عند المتكلم ، والمتكلم هو الكلام ، والعلم عند العالم ، والعالم هو العلم ، والدينار عند الصيرفى ، والصيرفى هو الدينار ، وذلك هو الجنون .

وأما اضطرابها من جهة معناها : فإن الكلمة عندهم هى العلم أو النطق وهى التى اتحدت بالجسد المأخوذ من مريم ، فإذا قال يوحنا " إن الله هو الكلمة " أو " وكان الكلمة الله " ، فقد صرح بأن الآب قد اتحد بالجسد ، وحل فى رحم مريم ، وناله القتل والصلب ، وهذا لا يقول به نصرانى ، وهو لازم لهم بمقتضى ما رووا عن يوحنا : " وكان الكلمة الله " .

ومما يَردُّ قولَ يوحنا هذا : تصريحُ المسيح فى عدة مواضع من الإنجيل بأنه نبى وأنه رسول ومعلم ، وأن الله نبأه وأرسله ، وأنه لا يعلم الغيب. والقيامة ، وذلك كله بخلاف قول يوحنا : " وكان الكلمة الله "] [(٢)] .

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق : للشيخ عبد الرحمن جى زاده . صـ ٤٠٣ .

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل : للإمام / تقى الدين الجعفرى ح ١ / ١٥٤ ، ١٥٥ . تقديم

[ولا أظن أن من يعرف معنى الكلمة والكلام يتفوه بمثل هذا، لأن الكلمة صفة للمتكلم، والصفة لا تكون عين الموصوف فكلمة الله ليست ذات الله تعالى ، ولم نَرَ فى شرائع الأنبياء وكتبهم إطلاق الكلمة على " ذات الله عز وجل .

والأسف على قوم بنوا دينهم على هذه الكلمات ، التى لم يسبق مثلها على لسان أحد ممن يؤمن بالله واليوم الآخر ، فخالف الأنبياء والمرسلين .] (١) .

ويقول الإمام الفخر الرازى – رحمه الله تعالى – [إنهم يقولون : إن أقنوم الكلمة اتحد بعيسى عليه السلام .

فأقنوم الكلمة : إما أن يكون ذاتاً أو صفة .

فإن كان ذاتاً فذات الله قد حلت فى عيسى ، واتحدت بعيسى ، فيكون عيسى هو الإله على هذا القول .

وإن قلنا إن الأقنوم عبارة عن الصفة ، فانتقال الصفة من ذات إلى ذات أخرى غير معقول .

ثم بتقدير انتقال أقنوم العلم عن ذات الله تعالى إلى عيسى يلزم خلو ذات الله عن العلم، ومن لم يكن عالماً لم يكن إلهاً] (٢) . إذ الجهل محال على الله تعالى .

وإذن : النص الإنجيلي الخاص بـ " الكلمة " ليس فيه ما يدل على ألوهية المسيح عليه السلام من قريب أو بعيد ، وما زعمتْه النصارى من

ودراسة أ / خالد محمد عبده ط : القاهرة – مكتبة النافذة .

(١) الفارق بين المخلوق والخالق . صـ ٤٠٣ – ٤٠٤ باختصار .

(٢) التفسير الكبير : للإمام / فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن على التميمى البكرى الرازى الشافعى . ج ١١ / ١٩٥ . ط : بيروت – دار المكتبة العلمية ١٤١١هـ – ١٩٩٠ م . وينظر : تقرير علمى أ د= / محمد عمارة صـ ٧٢ . هدية مجلة الأزهر .

ألوهية المسيح عليه السلام استناداً إلى هذا النص ليس راجعاً إلى النص ذاته، إنما مرجعه إلى تأوليهم الخاطئِ له المترتــبِ علــى جهلهــم باللغــة وبلاغتها، فضلاً عن جهلهم بالله عز وجل من حيث ما يجب له ، ومــا يجوز ، وما يستحيل في حقه، لذا اتسم تــأويلهم بــالتكلف والافتعــال والتصادم مع السياق العام للنص ...

المبحث السادس

إخبار القرآن ذاتِه عن المسيح ــ عليه السلام ــ أنه روح من الله تعالى

لقد كان إخبار القرآن الكريم عن عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام بأنه روح من الله تعالى باعثاً للنصارى أن يتخذوا منه دليلاً على ألوهيته، أو دليلاً على بنوته لله تعالى ، ومن ثَمَّ ألوهيته، حيث قوله الله جل شأنه : (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ)[1] ، حيث حَرَّف النصارى معنى " وروح منه " في الآية الكريمة الواردة بشأن المسيح عليه السلام فقالوا: ما دام عيسى روحاً من الله فهو جزء من الله ، أي ابنه ، إذ الولد جزء أبيه ، كما أن الولد يرث صفات أبيه ، ومما يرثه عيسى عليه السلام من أبيه الإله صفةُ الألوهية، فهو إذن إله ابن إله .

إبطال هذا الباعث :

أولاً : يقول الإمام القرطبى – رحمه الله تعالى – : [قوله تعالى : " وَرُوحٌ مِّنْهُ " هذا الذى أوقع النصارى فى الإضلال، فقالوا: عيسى جزء من الله ، فجهلوا وضلوا[2]] والولد جزء أبيه .

وحجتهم فى ذلك (وجه دلالتهم من الآية) : أن " مِنْ " للتبعيض .

---

(١) النساء : ١٧١

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٣/ ٢١٢١ – ٢١٢٢ .

[والحق أن " مِنْ " فى قوله تعالى "وَرُوحٌ مِّنْهُ "؛ لابتداء الغاية[(١)]، وليست للتبعيض ، كما فهمه بعض النصارى ، فادعى أن عيسى جزء من الله][(٢)] ، ومما يمنع كونَ "مِنْ " للتبعيض أن الله تعالى ليس مركباً من أجزاء، وإلا لزم أن يكون سبحانه جسماً يَشْغَلُ حيزاً، وحاشاه جل جلاله.

وهنا : [يحكى أن طبيباً نصرانياً حاذقاً للرشيد ناظر على بن الحسين الواقدى المرْوَزِيَّ ذات يوم فقال له : " إن فى كتابكم – القرآن – ما يدل على أن عيسى جزء من الله ، وتلا هذه الآية – وهى قوله تعالى : (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ)[(٣)] .

---

(١) [" مِنْ " : حرف جر من معانيه :

أ- ابتداء الغاية المكانية : قال تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الإسراء : آية : ١]

ب- ابتداء الغاية الزمانية ، نحو قولك : وقت العمل من الساعة الثامنة إلى الساعة الثانية] " المنجم في الألفاظ النحوية : الأستاذ المهدي محمد الجلّيّ ، ص: ١٢٨ ، ط: طرابلس ــ مجلس الثقافة العام ٢٠٠٦م .

أقول : ولأن الله تعالى منزه عن المكانية والزمانية تكون " من " بمعناها هنا مراد بها في قول الله تعالى (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ) [النساء : ١٧١] أي : روح المسيح عليه السلام من خلق الله تعالى ابتداءً ، أو المسيح عليه السلام روح من خلق الله، فالكلام في كلتا المعنيين على حذف مضاف، فـ " خَلْق " مضاف، ولفظ الجلالة " الله " مضاف إليه، والتعبير عن المسيح عليه السلام بأنه روح مع كونه روحاً وجسداً لتغلب الجانب الروحي فيه على الجانب المادي ، وفي قوله تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ) [الجاثية من آية : ١٣] ، أي : جميع ما في السموات وما في الأرض صدر ابتداءً من الله خلقاً وتدبيراً كذلك ...

(٢) تفسير البحر المحيط: للإمام/ محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى ح ٣ /٤١٧ ط : بيروت – دار الكتب العلمية١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

(٣) النساء من آية : ١٧١ .

فقرأ الواقدى قوله سبحانه : (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ) [(١)] .

وقال : إن كان يجب بهذا أن يكون عيسى جزءاً من الله [(٢)] ، وجب أن يكون ما فى السموات وما فى الأرض جزءاً من الله – ويستتبع ذلك أن يكونوا جميعاً أبناءَ الله وهذا لا يقول به أحد – فانقطع النصرانى وأسلم ، وصنف ابن واقد إذ ذاك كتاب : النظائر ، وفرح الرشيد بذلك فرحاً شديداً، ووصل الواقدى بصلة فاخرة] [(٣)] .

ثانياً : ويمكن أن يعود الضمير فى قوله تعالى " وَرُوحٌ مِّنْهُ " إلى جبريل عليه السلام ، إذا فسرت الآية الكريمة هكذا : إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وكلمته أى وكلمة الله ألقاها جبريل إلى مريم بتكليف من الله تعالى وهى " كن " فكان .

" وَرُوحٌ مِّنْهُ " أى روح عيسى من جبريل أى هى أثر من نفخة جبريل فى درع مريم [(٤)] بأمر الله تعالى .

فكلمة " كن " كانت بمثابة النطفة ، والنفخة كانت بمثابة الروح أو بث الروح فى عيسى عليه السلام .

---

(١) الجاثية من آية : ١٣ .

(٢) وفي رواية جاء في تفسير الإمام المراغي رحمه الله تعالى مج٢/ ٦/ ٣٠ أن الواقدي قال له : [" ... فَلَئِن صَحَّ ما تقول لزم أن تكون هذه الأشياء جزءاً منه تبارك وتعالى، فأُفْحِمَ النصرانيُّ وأسلم ، ففرح بذلك الرشيد، ووَصَلَ الواقديَّ بصلة عظيمة... "].

(٣) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى: للإمام أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى. مح ٢٥/٦/٣. وينظر: تفسير البحر المحيط: للإمام أبى حيان الأندلسى . ٤١٧/٣. وتفسير القرآن الحكيم: الشهير بتفسير المنار : للإمام / محمد رشيد رضا . ح ٦ / ٨٣ ، ٨٤ ط ٤ : بيروت – دار المعرفة (د . ت) .

(٤) درع المرأة : قميصها ، أو ثوبها . [معجم متن اللغة : مج٢ / ٤٠٢] .

وعلى كلا التفسيرين أو المعنيين فعيسى عليه السلام : كلمة الله ، خلق بها وهى " كن " وروح من الله، أى وروح عيسى من خلق الله ، وليس جزءاً من الله ، وبالتالي ليس ابنا لله تعالى ، أو روحه أثر نفخة جبريل عليه السلام ، حيث بثّتْ فيه هذه النفخةُ الروحَ التي بها صار كائناً حياً ....

[فقوله تعالى : " وَرُوحٌ مِّنْهُ " لا تعنى ألوهيته ، فلقد نفخ الله سبحانه وتعالى فى آدم من روحه ، ولم يقل أحد إن آدم قد صار إلهاً بسبب احتوائه على روح من الله :(ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ)[(١)] [(٢)] .

يقول الإمام الفخر الرازى وغيره : [إن الروح هو النفخ فى كلام العرب ، فإن الروح والريح متقاربان، فالروح عبارة عن نفخة جبريل ، وقوله " منه " يعنى أن ذلك النفخ من جبريل كان بأمر الله تعالى وإذنه فهو منه – أى من الله على الحقيقة ، وجبريل سبب ، فعيسى روح من الله أى من خلق الله – .

ولما كان عيسى عليه السلام لم يتكون من نطفة الأب ، وإنما تكون من نفخة جبريل عليه السلام ، لا جرم وصف بأنه روح .

والمراد من قوله " منه " التشريف والتفضيل ، كما يقال : هذه نعمة من الله ، والمراد كون تلك النعمة كاملة شريفة [(٣)].] .

هذا : وقد كان الله تعالى قادراً على أن يخلق عيسى عليه السلام مباشرة دون واسطة جبريل ، لعدم حاجته سبحانه إليه فى خلق عيسى، لكنه جل شأنه يريد بذلك أن يرشد خلقه إلى أهمية وضرورة الأخذ بالأسباب ، مع أنه سبحانه فوق الأسباب ، ولا تتقيد قدرته بها ، ولا حاجة له فى

(١) السجدة : من آية ٩ .
(٢) تقرير علمى : أ د / محمد عمارة . صـ ٧٣ . ٧٤ .
(٣) التفسير الكبير مج ٦ / ح ١١ / ٩١ .

الأخذ بها ، فكيف بمن تتقيد قدراتهم بالأسباب ، ألا يكون أخذهم بها من باب أولى ...

ثالثاً: أن تأويل النصارى الروح في الآية الكريمة في حق المسيح عليه السلام بأنه جزء من روح الله ، ويترتب على ذلك كونه ابناً لله تعالى ، ومن ثم ألوهيته ، إذ الولد جزءُ أبيه ، هذا التأويل معارَض بما جاء في ذات الآية الكريمة ، وهو قوله تعالى : (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا)[1]، وذلك دفعاً للإيهام السابق.

فأمر سبحانه النصارى بالإيمان به وبرسله عليهم السلام بمن فيهم المسيح عيسى عليه السلام ، مخبراً إياهم بأنه إله واحد ، منزه عن الولد ، متفرد بملك السموات والأرض ، بما فيهن ومن فيهن [فيستغرق ملكه عيسى عليه السلام وغيره ، ومن كان مِلْكاً لا يكون جزءاً من المالك ، على أن الجزئية لا تصح إلا في الجسم ، والله تعالى منزَّه عن الجسم والعَرَض] [2].

ومما يؤكد على أن قوله تعالى : (وَرُوحٌ مِّنْهُ) ليس فيه دلالة على بنوة المسيح لله أو أنه جزء من الله ، صدرُ الآية الكريمة ذاتها ، الذى ينص على بشرية عيسى من كل الوجوه ، وهو قوله سبحانه : (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ) .

---

(١) النساء : من آية ١٧١ .

(٢) تفسير البحر المحيط : ٣ / ٣١٨ . (مرجع سابق) .

- فهو عليه السلام (أولاً) " ابن مريم " وليس ابن الله،
- وهو (ثانياً) رسول الله ، ورسول الله غير الله .
- [وهو (ثالثاً) كلمة الله ألقاها إلى مريم ، وكلمة الله غير الله ، فكل شيئ خلقه الله بكلمة " كن" فكان . كما يقول سبحانه : (إِنَّما قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) [(١)] .
- وهو (رابعاً) روح من عند الله تعالى ، ونفخة منه ، كالنفخة التى كان منها آدم ، وكالروح التى كان منها الملائكة ، ومن كان هذا شأنه فهو ليس إلهاً ، لأنه من صنعة إله ، إذ هو مضاف إلى الله : رسول الله ... وكلمة الله ... وروح من الله ...] [(٢)] ، وهي إضافة مِلْكٍ أو تشريف...

ويقول الإمام أبو زهرة : [قوله تعالى : (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ) ذكر الله تعالى فيه أنه: المسيح، وأنه عيسى، وأنه ابن مريم.

فأما الأول فهو الاسم الذى يُذكر به فى القرآن ، وذكر بجواره عيسى للإشارة بأنه شخص ككل الشخوص ، فيه إشارة إلى بشريته .

والتصريح بالبشرية فى قوله تعالى : " ابْنُ مَرْيَمَ " فهو عليه السلام مولود خرج من رحم أنثى ، كما يخرج الأولاد من أمهاتهم ، وإذا كان لم يخرج من صلب أب، فإنه قد خرج من رحم أم ، وحسبنا ذلك دليلاً على البشرية المطلقة .

---

(١)النحل : ٤٠ .

(٢)التفسير القرآنى للقرآن : للأستاذ / عبد الكريم الخطيب مج ٢/ ١٠١٧ – ١٠١٨. ط : القاهرة – دار الفكر العربى (د. ت) .

وفى ذِكْر الأم من غير ذكر أب دليل على أنه لا ينتسب إلى أب قط ، فليس ابن يوسف النجار ، وليس ابن الله ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً] [1] .

فالمسيح عيسى عليه السلام تنحصر حقيقته في أمرين لا يتجاوزهما :

الأول : كونه بشراً ، وولادته من أم دون أب لا تخرجه عن بشريته ، بل ذلك دلالة على طلاقة قدرة الله تعالى وإرادته ، قال سبحانه : (وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) [2] .

الثاني : كونه رسولاً إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى الاعتقاد بوحدانية الله تعالى ، وإفراده بالعبادة ، قال جل شأنه : (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) [3]

سبب تسمية عيسى ـ عليه السلام ـ بالروح :

– إن المراد بقوله تعالى : " وَرُوحٌ مِّنْهُ " : هو عيسى عليه السلام ، وعَبَّرَ القرآن عنه بالروح مع أنه روح وجسد معاً للأسباب التالية :

لطهارته عليه السلام .

ولأنه لم يتكوَّنَ فى بطن أمه بنطفة رجل ، إنما تكون فى بطنها بنفخة جبريل عليه السلام ، فكان بإذن الله تعالى .

يقول الإمام الفخر الرازى – رحمه الله تعالى – عن علة التسمية: [وأما قوله تعالى " وَرُوحٌ مِّنْهُ " : ففيه وجوه :

---

(١)زهرة التفاسير : للإمام / محمد أبو زهرة مح ٤ / ١٩٧٩ . ط : القاهرة – دار الفكر العربى (د . ت) .

(٢) سورة مريم : من آية ٢١ .

(٣) سورة الصف : آية ٦.

الأول : أنه جرت عادة الناس أنهم إذا وصفوا شيئاً بغاية الطهارة والنظافة قالوا : إنه روح [(١)] .

فالمراد بقوله تعالى : " وَرُوحٌ مِّنْهُ " عيسى كجسد وروح . ، والضمير فى " منه " يعود إلى أقرب مذكور وهو الله تعالى ، والمعنى : عيسى روح من الله أى من خلق الله، أو من نفخة جبريل عليه السلام بأمر من الله تعالى ، حيث أصبح المسيح عليه السلام بهذه النفخة كائناً حياً دَبَّت فيه الروح ، وليس جزءاً من الله كما يدَّعى النصارى .

الثانى : أن إطلاق لفظ " الروح " على عيسى عليه السلام دليل على بشريته ونبوته لا على ألوهيته : فقد ذكر الإمام الرازى أن أحد أسباب هذا الإطلاق : [أنه عليه السلام كان سبباً لحياة قومه فى دينهم ، ومن كان كذلك وصف بأنه روح ، قال تعالى فى صفة القرآن : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا) [(٢)] .

الثالث : أن من معانى قوله تعالى : " وَرُوحٌ مِّنْهُ " أى رحمة منه . فلما كان عيسى رحمة من الله على الخلق من حيث إنه كان يرشدهم إلى مصالحهم فى دينهم ودنياهم لا جرم سمى " وَرُوحٌ مِّنْهُ " .

وقد قال النبى محمد عليه الصلاة والسلام عن نفسه :" إنما أنا رحمة مهداه"] [(٣)] وصدق الله العظيم إذ يقول في حق عيسى عليه السلام : (وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) [(٤)] .

□

(١) التفسير الكبير : مح ٦ / ١١ / ٩١ (مرجع سابق) .

(٢)الشورى : من آية ٥٢ .

(٣) رواه الحاكم فى المستدرك : كتاب الإيمان . رقم (١٠٠) وقال هذا حديث صحيح على شرطَيْهما ح ١ / ٩١ . وهو من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٤) سورة مريم : من آية ٢١ .

السنة النبوية توافق القرآن في بنوة عيسى لأمه مريم عليهما السلام، وأنه عبد الله وليس ابن الله:

ولأن السنة النبوية مبينة للقرآن الكريم، ونبعت من مشكاة الوحي الإلهي من حيث معناها، فبدهي أن توافق القرآن الكريم في هذا الأمر، بل وفي كل ما قرره ذلك القرآن العظيم، توافقه في أن إطلاق " كلمة الله " و" روح من الله " على عيسى عليه السلام لا تعني ما عناه النصارى من أنه ابن الله ، إنما تعني: أن الله تعالى خلقه بكلمة " كن " فكان، ونفخ فيه من روحه فدَبَّتْ فيه الحياةُ، ومن ثم : فهو ابن مريم، وليس ابن الله، ويتبع ذلك أنه عبد الله، وليس بإله.

ومن ذلك ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه:[عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسي عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل "][(١)] .

مراد الحديث الشريف :

اشتمل الحديث الشريف على ما يلي:

= نَفْيُ ألوهيةِ المسيح عيسى عليه السلام ، وبنوتِه لله تعالى ، وذلك بإخبار الصادق الأمين الرسول الخاتم سيدنا محمد ﷺ بأنه بشر، وعبد الله ورسوله.

= نَفْي أن تستلزم تسميته عليه السلام بـ " كلمة الله " و" روح الله " ، أو" روح من الله" أن يكون إلهاً ، أو ابن إله، بل تعني أن الله تعالى نفخ فيه من

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : ٤٧ ، قوله تعالى : " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ " [النساء : من آية ١٧١]، ج٣/ ١٢٦٧. برقم (٣٤٣٥).

روحه، وخلقه كسائر البشر بكلمة " كن " فكان. وهذا بإجماع أئمة الإسلام وعلمائه .

وإنما عبَّر الرسول الخاتم ﷺ الذي بُعِثَ إلى الناس كافة من عرب ومن عجم عن هذا المعنى بـ " كلمة الله وروحه " لعدم ارتباط خلقه عليه السلام بالأسباب والمسبَّبات المعهودة من التقاء الحيوان المنوي بالبويضة عن طريق العلاقة الشرعية المأذون بها من الخالق جل وعلا ...

= الإيمان بالبعث وما فيه من حساب وجزاء، وجنة ونار ... إلخ .

= أن هذا هو الحق في حقيقة عيسى ابن مريم عليهما السلام ، بدليل توقف النجاة للإنسان على هذا الاعتقاد، حيث دخوله الجنة في الآخرة، وهو ما نص عليه الحديث الشريف بدءاً ومنتَهىً : " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسي عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ".

[**قال القرطبي** : مقصود هذا الحديث : التنبيه على ما وقع للنصارى من الضلال في عيسى وأمه، ويستفاد منه ما يُلَقَّنَهُ النصراني إذا أسلم .

قال النووي : هذا حديث عظيم الموقع ، وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد، فإنه جُمِعَ فيه ما يُخْرِجُ جميعَ ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم .

وقال غيره : في ذكر عيسى تعريض بالنصارى، وإيذان بأن إيمانهم مع قولهم بالتثليث شرك محض، وكذلك قوله " عبده " .

وفي ذكر " رسوله " تعريض باليهود في إنكارهم رسالته ، وقَذْفِه بما هو مُنزَّه عنه، وكذا أمه عليهما السلام .

وفي تسميته عليه السلام بـ " الروح " تشريف له ، وكذا وصفه بأنه " منه " كقوله تعالى " وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ" (١) .

فالمعنى : أنه كائن منه ، كما أن معنى الآية أنه سخر هذه الأشياء كائنةً منه، أي أنه مُكَوِّنُ كلِّ ذلك ومُوجِدُه بقدرته وحكمته .

وقوله : " وكلمته " سُمى كلمة الله لأنه أوجده بقوله " كن " فلما كان بكلامه ــ أي بكلمة كن ــ سمي به ، وأما تسميته بالروح فلكونه ذا روح وُجِدَ من غير جزء من ذي روح] (٢) .

ومحصلة القول : أن تسمية المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بالروح، أو روح الله، أو روح من الله تعني في الحقيقة : أن المسيح عليه السلام بعدما اكتمل دماً وعظماً ولحماً خَلَقَ اللهُ تعالى فيه الروح ، أو بَثَّ فيه ــ أي في جسده ــ الروحَ بنفخة منه مباشرة ، أو بواسطة جبريل عليه السلام ، فصار كائناً حياً .

وسُمِّي روحاً مع أنه مكون من شقين : روح وجسد . لتغلب الجانب الروحي فيه على الجانب المادي أو الجسدي ، وأشياء أخرى ، ولا عجب فهو رسول معصوم ، وتميز عن سائر الأنبياء والرسل باستثناء آدم عليه السلام بخلقه من غير أب ... ، والرسل عموماً من صفاتهم الزهد ، والتجرد لله تعالى ، وإيثار الآخرة على الأولى، فكيف برسول الله عيسى عليه السلام !!.

وما ذهب إليه النصارى من التأويل الخاطئ للروح في حق المسيح عيسى عليه السلام في قول الله تعالى : (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ

(١) سورة الجاثية : من آية ١٣ .

(٢) فتح الباري: للإمام ابن حجر العسقلاني ٦ / ٥٤٧ ، ٥٤٨. مرجع سابق .

اللّهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ)[١] استناداً إلى أن " من " في الآية للتبعيض جهلاً منهم باللغة العربية وبلاغتها ، وجهلاً منهم كذلك بقداسة الله جل جلاله مردود عليهم كما سبق بما يلي :

– أن " من " لابتداء الغاية " وليست للتبعيض، ويؤيد عدمَ كونها للتبعيض أن الله تعالى ليس جسماً ، وليس مركباً من أجزاء، فليس هناك كُلٌّ أو بعضٌ في حق الله تعالى .

(١) سورة النساء : ١٧١.

المبحث السابع

معجزات[1] المسيح عليه السلام:

اتخذ النصارى من معجزات رسولهم عيسى عليه السلام بواعث ثلاثة دفعت بهم إلى القول بألوهيته، وإن شئتَ قل : اتخذوا من معجزاته عليه السلام باعثاً للقول بألوهيته من ثلاث زوايا، وها هي ذي :

أ- معجزاته – عليه السلام– من حيث كونها معجزات فى حَـدِّ ذاتهـا ، وخوارقَ للعادات [فهي ــ في زعمهم ــ دليل على أنه الله، لأن عمـل المعجزات علامة القدرة الإلهية][2]

ب – نوعية هذه المعجزات والخوارق .

جـ – نسبتهم هذه المعجزات إلى المسيح عليه السلام ، بجعلـه مصـدراً لها، وليس الله تعالى وقدرته !! :

الباعث الأول ، والرد عليه :

يقول القس : فايز فارس : [ومعجزات السيد المسيح تشهد بألوهيته ، فقد أقام الموتى ، وأعطـى الشـفاء للمرضـى ، ويختلـف إجـراء المعجزات عند الأنبياء والتلاميذ عنه عند المسـيح ، الأنبيـاء كـانوا يجرون معجزاتهم باسم الرب، والتلاميـذ كـانوا كـأدوات يجـرون معجزاتهم باسم يسوع ، أما يسوع فكان يصنع المعجزات بسلطانه هو ،

(١) المعجزة هى : أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد مدعى النبوة عند تحـدى المنكـرين على وجه يعْجَزُ هؤلاء المنكرون عن الإتيان بمثله . [ينظر : تبسيط العقائد الإسلامية : للشيخ / حسن أيوب . صـ ١٤٤ ط ٧ : القاهرة – دار التراث العربى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م].

(٢) علم اللاهوت (النظامي) : ص٣٣٢ ط: القاهرة ، دار الجيل للطباعة (د.ت) .

في يوحنا قول السيد المسيح : " لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء "[(١)] [(٢)] .

[وهذه العبارة الأخيرة " يحيى من يشاء " تصف كفاية قدرة المسيح ، وتعني استقلال المسيح في عمله هذا] [(٣)]، [ولذلك كان صنعة المعجزات بقوته الذاتية دليلاً

قاطعاً على أنه قادر على كل شيء ، وأن في يده كل سلطان ، وبالتالي أنه الله][(٤)] .

إبطال الباعث الأول :

أ ـ استنادهم على ألوهية عيسى – عليه السلام ـ بمعجزاته من حيث كونُها معجزاتٍ في ذاتها :

هذا الباعث يُبْطِلُه أن كل الأنبياء والرسل جاءوا بمعجزات ، تأييداً لنبوتهم ورسالتهم ، وتحدياً للمنكرين لهم ، ولم يقل أحد بأنهم آلهة، وقولهم بألوهية عيسى بسبب معجزاته ، نتيجة يلزم عنها ألوهية كل الأنبياء والرسل، وهذا مالا يعتقدونه أو يقولون به .

الباعث الثاني والرد عليه :

ب ـ نوعية المعجزات التى جاء بها عيسى – عليه السلام – :

وذلك مثل إحياء الموتى، وإبراء المرضى ، لا سيما الأكمة – من وُلِد أعمى – والأبرص، وهو أمر يعجز عنه غيره من البشر، مما يدل على ألوهيته .

---

(١) إنجيل يوحنا : ٥ : ٢١ .

(٢) حقائق أساسية في الإيمان المسيحي : القس فايز فارس ، ص ٨٠ ، ط: القاهرة ــ دار الثقافة المسيحية (د.ت) .

(٣) شرح بشارة يوحنا : للدكتور القس / إبراهيم سعيد ص١٩٦ ، ط: القاهرة – دار الجيل للطباعة (د.ت) .

(٤) علم اللاهوت (النظامي) : ص ٥٠٦ ، (مرجع سابق).

وإبطال هذا الباعث يتطلب الآتي :

- *** ذكر بعض معجزات المسيح عليه السلام الواردة في العهد الجديد ، ليتسنى الرد عليهم من خلال مقارنتها بمعجزات بعض إخوانه من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وها هي ذي:**

١- **شفاؤه الأبرص** : [" ولما نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة ، وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلاً : " يا سيد . إن أردت تقدر أن تطهرني " فمد يسوع يده ولمسه قائلاً: " أريد فاطهر " وللوقت طَهُرَ بَرَصُه "[(١)] .

٢ - **رده عليه السلام البصرَ للأعمَيَيْنِ** : [" وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه أعميان يصرخان ويقولان : " ارحمنا يا ابن داود " ولما جاء إلى البيت تقدم إليه الأعميان، فقال لهما يسوع : " أتؤمنان أني أقدر على أن أفعل هذا ؟ " قالا له : نعم يا سيد " . حينئذ لمس أعينهما قائلاً : " بحسب إيمانكما ليكن لكما " فانفتحت أعينهما "][(٢)] .

جاء في تفسير " إنجيل متى " :

[اعترف الأعميان به كابن داود ، وآمنا بقدرته، فمنحهما البصر][(٣)] .

٣ - **مباركتُهُ** - عليه السلام - **خمسةَ أرغفةٍ وسمكتَيْن ، فطَعِمَ منها أكثرُ من خمسة آلاف رجل ، بالإضافة إلى النساء والأولاد، وفاض أو بقي منها إثنتا عشرة قُفّةً مملوءة بِكِسَرِ الخُبْزِ** : [" فلما سمع يسوع انصرف من هناك في سفينة إلى موضع خلاء منفرداً ، فسمع الجموع ، واتبعوه مشاة من المدن . فلما خرج يسوع أبصر جمعا كثيراً فتحنن عليهم وشفى مرضاهم، ولما صار المشاة تقدم إليه تلاميذه قائلين : الموضع خلاء ، والوقت قد مضى ،

---

(١) متى ٨ / ١ - ٣ ، ومرقس : ١ / ٤٠ - ٤٢.

(٢) متى ٩ / ٢٧ - ٣٠ .

(٣) تفسير إنجيل متى : بنيامين بنكرتن ، ص١٥٣- ط٣ : ١٩٨١م (د.م) .

اصرف الجموع لكى يمضوا إلى القرى ويبتاعوا[١] لهم طعاماً " فقال لهم يسوع : " لا حاجة لهم أن يمضوا ، أُعطوهم أنتم ليأكلوا " فقالوا له: " ليس عندنا هاهنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان " .

فقال : " ائتونى بها إلى هنا " . فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب ، ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ، ورفع نظره نحو السماء ، وبارك وكسَّر وأعطى الأرغفة للتلاميذ، والتلاميذُ للجموع ، فأكل الجميع وشبعوا ، ثم رفعوا ما فضل من الكِسَر اثنتى عشرة قفة مملوءة ، والآكلون كانوا نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد .][٢] .

٤ – **مشيه على سطح الماء دون أن يصيبه الغرق** : [" وأما السفينة فكانت قد صارت فى وسط البحر معذبة من الأمواج ، لأن الريح كانت مضادة ، وفى الهزيع[٣] الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر ، فلما أبصره التلاميذ ماشياً على البحر اضطربوا قائلين: " إنه خيال " ومن الخوف صرخوا ، فللوقت كلمهم يسوع قائلاً: " تشجعوا . أنا هو لا تخافوا "][٤] .

٥ ـ **إحياؤه عازرا وإقامته من قبره** : [.... ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : " لعازر : هلم خارجاً ، فخرج الميت .. فقال لهم يسوع : حلوه ودعوه يذهب "][٥] .

٦ – **إحياؤه شاباً ميتاً وحيدَ أمِّه الأرملة**، محمولا على نعش : يقول لوقا : [وفى اليوم التالى ذهب إلى مدينة تدعى " نايين " ، وذهب معه كثيرون

---

(١) ويشتروا. [يقال : ابتاع الشيء : اشتراه] . معجم متن اللغة : مج١ / ٣٧٣ .

(٢) متى ١٤ / ١٣ – ٢١ ، ولوقا : ٩ / ١٠ – ١٧ .

(٣) الهزيع الرابع : أي القسم الرابع من الليل . [قاموس الكتاب المقدس: ص١٠٠٠]

(٤) متى : ١٤ / ٢٤ – ٢٧ ، مرقس: ٦ / ٤٥ – ٥٠ . (٢) (٣)

(٥) يوحنا ١١ / ٤٣ ، ٤٤ .

من تلاميذه وجمع كثير ، فلما اقترب إلى باب المدينة ، إذا ميت محمول ، ابن وحيد لأمه، وهى أرملة ، ومعها جمع كثير من المدينة ، فلما رآها الرب تحنن عليها ، وقال لها : " لا تبكى "[1] ثم تقدم ولمس النعش ، فوقف الحاملون ، فقال : " أيها الشاب. لك أقول: قم ". فجلس الميت وابتدأ يتكلم ، فدفعه إلى أمه "[2]] .

وبعد : فلقد ساق الله عز وجل هذه المعجزات على يدى رسوله عيسى – عليه السلام ليصدقوه في بلاغه عن الله الواحد الأحد ، فرفعوه بها إلى مرتبة الألوهية ، وذلك لغرابة هذه المعجزات ، وتفرده بها – فى زعمهم – !! .

الرد عليهم في هذا الباعث :

ويرد عليهم بالآتى :

[لئن اتخذ النصارى من معجزات نبيهم عيسى عليه السلام دليلاً على ألوهيته لغرابتها ، فإن أغرب وأعجب من هذه المعجزات حصل لغيره عليه السلام ، – فإن كان أحيا ميتين ، فقد أحيا حزقيالُ جيشاً عظيماً جداً جداً[3] .

---

(١) الصحيح لغوياً أن يقال : " لا تبك " بحذف حرف العلة .

(٢) لوقا : ٧ / ١١ – ١٥.

(٣) سفر حزقيال : ٣٧ / ١ – ١٠. [يقول حزقيال : " كانت علىَّ يدُ الرَّبِ ، فأخرجنى بروح الرب وأنزلنى فى وسط البقعة وهى ملآنة عظاماً ، وأمَرَّنى عليها مِنْ حولها ، وإذا هى كثيرة جداً على وجه البقعة ، وإذا هى يابسة جداً ، فقال لى : " يا ابن آدم : أتحيا هذه العظامُ ؟ " فقلت : " يا سيدُ الربُّ أنت تعلم " فقال لى : " تَنَبَّأْ على هذه العظام وقل لها : أيتها العظام اليابسة ، اسمعى كلمةَ الرب : هكذا قال السيد الرب لهذه العظام، ها أنذا أُدخِلُ فيكم روحاً فتَحْيَوْنَ ، وأضع عليكم عَصَبَاً ، وأكسيكم لحماً ، وأَبْسُطُ عليكم جِلْداً ، وأجعل فيكم روحاً ، فَتَحْيَوْنَ وتعلمون أنى أنا الرب " . فَتَنَبَّأْتُ كما أُمِرْتُ ، وبينما أنا أتنبأ كان صوتٌ ، وإذا رَعْشٌ ، فتقاربَتِ العظامُ كلُ عَظْمٍ إلى عَظْمِه ، ونظرتُ وإذا بالعصب واللحم كساها ، وبُسِطَ الجلدُ عليها من فوق، وليس فيها روح ، فقال لى : تَنَبَّأْ للروح تَنَبَّأْ يا ابن آدم ، وقُلْ للروح : =

- وأحيا أليشع جثة أُلقيت فى قبره بعد موته : ففى سفر الملوك الثانى" وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة ، فطرحوا الرجل فى قبر أليشع، فلما نزل الرجل ومس عظام أليشع عاش وقام على رجليه"[(١)] .

وحصول معجزة الإحياء لمن كان فى البرزخ أعجب من حصولها لمن كان حياً .

- وأحيا موسى عليه السلام العصا ، وجعلها ثعباناً عظيماً، فابتلعت عِصِيّ السحرة ، ثم أعادها كما كانت .
- ففى سفر الخروج : [" وكلم الرب موسى وهارون قائلاً : " إذا كلمكما فرعون قائلاً : هاتيا عجيبة[(٢)] ، تقول لهارون : خذ عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعباناً "] [(٣)] .

وقال الله تعالى:(وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ)[(٤)] .

=هكذا قال السيدُ الربُّ : هَلُمَّ يا روحُ من الرياح الأربع ، وهُبَّ على هؤلاء القتلى ليَحْيَوْا " . فتَنَبَّأتُ كما أَمَرَنى ، فَدَخَلَ فيهم الروحُ ، فحيوا وقاموا على أقدامهم جيشٌ عظيم جداً "] سفر حزقيال : ٣٧ / ١- ١٠ . وإحياؤه عليه السلام هذا الجيش العظيم ــ كما هو واضح من النص صراحة ــ كان بأمر من الله تعالى وإذنه، وحوله ومدده وقوته.

(١) سفر الملوك الثاني : ١٣ / ٢١ .

(٢) عجيبة: هي حادثة تحدث بقوة إلهية تخرق مجرى الطبيعة العادي، وتُثبت إرسالية من كان سبب الحادثة، أو من جرت على يديه، وهي فوق الطبيعة المألوفة، ولكنها ليست ضدها. [الكتاب المقدس : ص٦٠١] وهي ما يُعبَّرُ عنها عندنا نحن المسلمين بالمعجزة .

(٣) سفر الخروج ٧ / ٨ ، ٩ .

(٤)الأعراف : ١١٧، والآية الكريمة من القرآن هاهنا صححت ما جاء في هذه الفقرة من سفر الخروج ، فذكرت أن الأمر بإلقاء العصا كان من الله لموسى وليس لهارون ــ عليهما السلام ، وعليه : فموسى عليه السلام هو الذي أخذ العصا وطرحها أمام فرعون فصارت حية تسعى .

وإحياءُ الجماد ثم سلْب الحياة منه أعجب من رد الروح إلى جسم كانت فيه الحياة من قبل ، فقد أنشأ الحياة في عصاه ، وحوّلها من مملكة النبات إلى مملكة الحيوان .

- وإن بارك المسيح على خمسة أرغفة حتى أكل منها خمسة آلاف رجل عدا النساء والأولاد ، فإن موسى كليم الله سأل الله تعالى لقومه فأطعمهم المن[1] والسلوى[2] أربعين سنة ، قال الله تعالى : (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) [3] .
- وضرب موسى عليه السلام الحجر بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط من بني إسرائيل عين، قال الله تعالى : (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) [4] .
- وإن مشى المسيح على البحر ولم يغرق ، فإن موسى قد ضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، فعبر هو وقومه ونجوا ، وأتبعهم فرعون وجنوده فكانوا من المغرقين . قال تعالى : (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ {٦٣} وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ {٦٤}وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ {٦٥} ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ) .

---

(١) المن كان ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء ثم يشربونه .

(٢) والسلوى : طير يشبه السمانى لذيذ الطعم] . " صفوة التفاسير : للصابونى . ج ١ / ٦٠

(٣) البقرة : ٥٧ .

(٤) البقرة : ٦٠ .

فإذا كانت هذه الخوارق التى هى أعجب من خوارق المسيح عليه السلام ولم تقتض ألوهية مَن حصلت على يده، فخوارق المسيح لا تقتضى ألوهيته أيضاً[(١)] من باب أولى.

- [واعلم : أن معجزات سيدنا بل سيد المرسلين محمد – عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم – أعجب من إحياء المسيح نفسين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك ، لأنه ألقى الحياة على جماد من الشجر فصار يسعى إليه ، وينطق بالشهادة وبالرسالة إليه .

عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فدنا منه أعرابى ، فقال يا أعرابى أين تريد ؟ قال : إلى أهلى ، قال : هل لك إلى خير ؟ قال وما هو ؟ قال عليه السلام : " تشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، قال من يشهد لك على ما تقول ؟ قال عليه السلام : " هذه الشجرة السمرة وهى بشاطئ الوادى ، فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ، ثم رجعت إلى مكانها .... "[(٢)] .

---

(١) دراسات فى المسيحية : أ د / محمود يوسف كريت صـ ٩٥ – ٩٧ . ط : القاهرة – دار الطباعة المحمدية ١٤١٥ هـ – ١٩٩٠ م . وينظر : لماذا اخترت الإسلام : صـ ٣٠ – ٣٣ . مرجع سابق .

(٢) الشفا : للقاضى عياض. تحقيق أ.د / عبد السلام البَكَّاري المَسَّاري ٣٠٤/١، ٣٠٥ الفصل السادس عشر : في كلام الشجر وشهادتها له صلى الله عليه وسلم بالنبوة، وإجابتها دعوته. ط١ : بيروت، دار ابن حزم ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م ، وسنن الدارمى: تحقيق الشيخ / فواز أحمد زمرلي= = – والشيخ خالد السبع العليمي، مج١ / ٢٢ . كتاب المقدمة . باب ٤ : ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجرة والبهائم والجن. رقم ١٦ ، ط١: القاهرة ، دار الريان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده: تحقيق الشيخ / حسين سالم أسد ج ١٠/ ٣٤ رقم (٥٦٦٢) ط١ : المملكة العربية السعودية – مكتبة الرشد ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م ، قال محققه : إسناده حسن، وأخرجه الإمام ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية. تحقيق الشيخ المحدث / حبيب الرحمن الأعظمي. ج٤ / ١٦، باب شهادة الشجر بنبوته صلى الله عليه وسلم، وطاعتها إياه. رقم (٣٨٣٦)، ط١ : الكويت ــ المطبعة العصرية ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م . قال البوصيري : رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، عزاه لأبي يعلى والبزار أيضاً .

وسبح الحصا فى كفه عليه السلام بصوت يسمعه الحاضرون ، والنطق لا يكون إلا من حى ، وكونه من غير آلة أعجب ــ إذ ليس للشجرة لسان ــ ، روى أبو ذر – رضي الله عنه– أن النبى ﷺ أخذ كفا من الحصى ، فسبحن فى يد رسول الله – ﷺ – ، حتى سمعنا التسبيح ، ثم صبهن فى يد أبى بكر رضي الله عنه فسبحن ، ثم فى أيدينا فما سبحن "[1] .

وكذلك حنين الجذع إليه – ﷺ – حين فارقه ، وكان يخطب عليه . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل ، فكان النبى – ﷺ – إذا خطب يقوم على جذع منها ، فلما صُنِعَ له المنبر وكان عليه، سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار[2] ، حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت"[3]

يا عجباً مَنْ حَنَّ جِذْعٌ إليهِ ... كيف لا تَذْهَلُ العقولُ عليهِ

ظلَّ يبكى والناسُ تَعْجَبُ حتى ... ضَمَّه المصطفى له بيدَيْهِ

عَجَّ[4] مِنْ لَوعَةِ الفِرَاقِ فَهَلَّا ... كان مِنَّا ما كان منه عليْهِ[5]] .

---

(١) أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط. تحقيق : الشيخين / أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد ، وأبي الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ج٢ / ٥٩، رقم (١٢٤٤) ، ط: القاهرة ــ دار الحرمين ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م. وذكره الإمام الهيثمي في معجم الزوائد: ج١٧ / ٣٠٣ ، ٣٠٤ : كتاب ٣٦ : علامات النبوة . باب ٥١: تسبيح الحصا. وقال : رواه البزار بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات، وفي بعضهم ضعف. وقال محققه الشيخ حسين سليم أسد الدَّاراني : حديث صحيح. ط١: المملكة العربية السعودية – دار المنهاج ١٤٣٦هـ= ٢٠١٥م .

(٢) العشراء من النوق : ــ جمع ناقة ــ وهي ما مضى على حملها عشرة أشهر (ج) عِشَار، وفي التنزيل العزيز : (وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ) [التكوير: آية ٤]. المعجم الوسيط : ٢ / ٦٢٤.

(٣) أخرجه الإمام البخارى في صحيحه: مج٢/٤٨٠ – ك : المناقب. باب ٢٥ : علامات النبوة في الإسلام رقم (٣٥٨٥).

(٤) عَجَّ : رفع صوته وصاح . (لسان العرب ٤ / ٢٨١٣) .

(٥)المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل : لأبى الفضل المسعودى مع هامشه للمحقق أ د / بكر زكى عوض . صـ ٢٢٨ ، ٢٢٩ . بتصرف يسير . ط ١ : القاهرة – مكتبة رشوان ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

أقول: وكل معجزة لسيدنا محمد رسول الله ﷺ هى أكبر من أختها فى العجب .. ، ولم يلزم عنها أن يكون ﷺ إلها ، فكيف يدعى النصارى ألوهية المسيح بالنظر إلى نوعية معجزاته ، وهى من العجب دون معجزات نبينا محمد ﷺ ؟ !! بل ودون معجزات نبي الله موسى عليه السلام ، بل ودُونَ معجزات بعض أنبياء بني إسرائيل ــ كما مرّ ــ ، مثل : حزقيال، واليشع ــ عليهما السلام .

– **هذا** : ولئن اتخذ النصارى من نوعية المعجزات التى أيد الله تعالى بها رسوله عيسى – عليه السلام – دليلاً على ألوهيته، فإن المعجزة التى يأتى بها النبى والرسول تكون من جنس ما برع فيه قومه ، وقد برع بنو إسرائيل فى الطب ، فأجرى الله – عز وجل – على يدى عبده ورسوله عيسى – عليه السلام – من المعجزات من ذلك الجنس بما يعجز عنه الأطباء أنفسهم مثل : إحياء الموتى بإذن الله تعالى ، وإبراء الأكمه " مَنْ وُلِدَ أعمى " والأبرص بإذن الله ، وذلك حتى يتحقق التحدى ، بحيث إذا عجزوا عن الإتيان بمثل ما أتى به النبى أو الرسول ، يكون دليلاً على صدق ذلك النبي أو الرسول فى بلاغه عن الله تعالى ، وتلزمهم الحجة ، ولا يكون لديهم عذر البتة فى عدم إيمانهم.

جاء في تفسير القرآن العظيم : [قال كثير من العلماء : بعث الله كل نبى من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه ، فكان الغالب على زمان موسى – عليه السلام – السحر ، وتعظيم السحرة ، فبعثه الله تعالى بمعجزات بهرت الأبصار، وحيرت كل سحار ، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار، انقادوا للإسلام، وصاروا من عباد الله الأبرار...

وأما عيسى – عليه السلام – فبعث فى زمن الأطباء ، وأصحاب علم الطبيعة ، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه ، إلا أن يكون مؤيداً من الذى شرع الشريعة.

فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد ، أو على مداواة الأكمه " الأعمى " والأبرص ، وبَعْثِ من هو فى قبره رهين إلى يوم التناد .

وكذلك محمد ﷺ بعث فى زمان الفصحاء والبلغاء، فأتاهم بكتاب من الله عز وجل، فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله، أو سورة من مثله لم ولن يستطيعوا أبدا ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، وما ذاك إلا أن كلام الرب جل وعلا لا يشبه كلام الخلق أبدا .] [1] .

هذا فضلاً عن : [أن عصر عيسى عليه السلام كان عصراً لا يؤمن إلا بالأسباب والمسَبَّبَاتُ ــ أي كانوا لا يؤمنون إلا بما هو مادي محسوس مرئي لديهم ، أو بعبارة أخرى لا يؤمن إلا بالأسباب المادية (المشاهدة المحسوسة ــ) ، وكان في عهده الفلاسفة الطبيعيون الذين لا يؤمنون إلا بالأسباب ومسبَّباتها، فكانت معجزاتُ عيسى عليه السلام خرقاً حسياً صارخاً لهذه الأسباب، وولادتُه عليه السلام كانت بغير السبب المعروف، إذ كان من غير أب ، وما كانوا يحسبون الأكمه الذي ولد أعمى يُبصر ، وما كانوا يعلمون أن البرص يُشْفَى منه، فشفاه الله تعالى على يديه عليه السلام.

جاء عيسى عليه السلام فكانت حياته وآياته كلها إحياء للمعنويات والروحانيات التي طمسها اليهود بماديتهم الطاغية والمفرطة والجموحة، وداعيةً لبطلان ذلك الاعتقاد المادي الحسي الماثل في أنه لا شيء إلا في الأسباب والمسببات ، ولكنهم ــ أي اليهود ــ تمكنوا من أتباعه عليه السلام من بعده بثلاثة قرون فأخرجوهم من اتِّباعه، وأعادوهم إلى

(١) تفسير القرآن العظيم : للإمام ابن كثير ح ١ / ٣٦٤ ، ٣٦٥ . (مرجع سابق) .

الأسباب والمسببات السابقة، وأخرج النصارى المسيحَ من إطار البشرية، وزعموا أنه إله] [(١)] .

الباعث الثالث والرد عليه :

جـ- نسبة النصارى معجزات المسيح عليه السلام إليه هو بجعله مصدراً لها، وليس الله تعالى:

أما ادعاؤهم نسبة هذه المعجزات إلى المسيح عليه السلام استقلالاً ، أى إلى ذاته وقدرته خلقاً وتقديرا لا إلى الله تعالى، فمردود بما يلى :

١ – أن هذه المعجزات ليست من خلق عيسى عليه السلام، إنما هى من خلق الله تعالى وحده باعتراف عيسى نفسه ، الذى سجلته له نصوص الأناجيل التى يؤمنون هم بها .

ففى إنجيل يوحنا : ورد قول المسيح عليه السلام : [" الحقَّ الحق أقول لكم :لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل"] [(٢)] .

وقال أيضاً: [" أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً ، لأنى لا أطلب مشيئتى ، بل مشيئة الآب الذى أرسلنى "] [(٣)] ، فلماذا لم يعترفوا بما اعترف به المسيح عليه السلام، وينسبوا إليه ما نسبه لنفسه ؟!! أين الأمانة في النقل؟!! ، بل وأين الاستقامة في الفهم ؟!! .

[٢ – أن ما ظهر على يديه من الخوارق كان بالسؤال والطلب من الله تعالى : فقد تضرع عيسى عليه السلام، وسأل ربه عند إقامته " إحيائه " عازراً من قبره ، ورفع عينيه إلى السماء] [(٤)] .

---

(١) زهرة التفاسير : للإمام / محمد أبو زهرة مج ٥ / ٢٣١١ (بتصرف يسير).

(٢) ٥ / ١٩ .

(٣) يوحنا : ٥ / ٣٠.

(٤) الرد الجميل لإلهة عيسى بصريح الإنجيل : للإمام أبى حامد الغزالى. صـ ١٣٦ (مرجع سابق)

قال يوحنا فى إنجيله: [قال يسوع: " ارفعوا الحجر " قالت له مَرْثا أخت الميت : "يا سيد قد أَنتن ، لأن له أربعة أيام " .

قال لها يسوع: " ألم أقل لك : إن آمنت ترين مجد الله " .

فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً ، ورفع يسوع عينيه إلى فوق ، وقال : " أيها الآب ، أشكرك لأنك سمعت لى ، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت : ليؤمنوا أنك أرسلتنى " .

ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : لعازر: هلم خارجاً " .

فخرج الميت ويداه مربوطات بأقمطة(١) ، ووجهه ملفوف بمنديل ، فقال لهم يسوع : " حلوه ، ودعوه يذهب "](٢) .

[٣ – شهادة عظماء تلامذة المسيح بأن الخوارق التى ظهرت على يديه إنما هى من صنع الله تعالى](٣).

يقول بطرس " رئيس الحواريين " : [" أيها الرجال الإسرائيليون إسمعوا هذه الأقوال : يسوع الناصرى(٤) رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون "(٥)] .

---

(١) القِمَاط : الحبل ونحوه يُقْمَط ــ يُرْبَط ــ به. وخِرْقَة (ج) أقمطة ــ وقُمُطْ. [المعجم الوسيط مج ١ / ٢٩٠] .

(٢) ١١ / ٣٨ – ٤٤ .

(٣) الرد الجميل : للإمام الغزالى . صـ ١٣٧ .

(٤) يسوع الناصري : هكذا دعاه بطرس، والنسبة تعود إلى مدينة الناصرة ، والناصرة اسم عبري ربما كان معناه " الحارسة " أو " المحروسة ". وهي مدينة في الجليل في الجزء الشمالي من فلسطين، وهي تقوم على جبل مرتفع. (قاموس الكتاب المقدس: ص ٩٤٦، ٩٤٧) .

(٥) أعمال الرسل : ٢ / ٢٢ .

فقول رئيس الحواريين هنا تضمن بوضوح ودون أدنى لبس الآتي :

- إتيان المسيح عليه السلام بمعجزات .
- إتيانه عليه السلام بهذه المعجزات بقدرة الله تعالى، لا بقدرته هو.
- بيان الهدف من هذه المعجزات، حيث إقامة الأدلة والحجج والبراهين على ثبوت نبوة ورسالة المسيح عليه السلام أمام بني إسرائيل، خصوصاً المنكرين منهم.

أقول ـ أيضاً ـ : ومن جملة النصوص السابقة يتبين الآتي :

= أن نسبة النصارى معجزات المسيح عيسى – عليه السلام – إلى ذات عيسى وقدرته لا إلى ذات الله تعالى وقدرته ومشيئته فيها مخالفة منهم لنصوص أناجيلهم الناطقة فى صراحة ووضوح بنسبة المسيح هذه المعجزاتِ إلى الله تعالى ، لا إلى نفسه، معترفاً بعجزه ، ومؤكداً بذلك أنها دليل على رسالته لا ألوهيته ...

فعلام استند هؤلاء فى زعمهم ؟ !!

إنه لا سند لهم يتكئون عليه سوى الأهواء ، وتحقيق المآرب الذاتية الفانية ، وصدق الله العظيم إذ يقول : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [(١)] .

= أن اتخاذ النصارى من معجزات عيسى – عليه السلام – دليلاً على ألوهيته ، راجع إلى عدم درايتهم بمفهوم المعجزة ، وعدم معرفتهم بطبيعتها ، فالمعجزة لا يخلقها النبى ، إنما يخلقها الله عز وجل ، والنبى ما هو إلا ظرف أو محل لظهور المعجزة على يديه بإذن الله ، تأييداً لما

(١)الجاثية : ٢٣ .

ادعاه لنفسه من الرسالة والنبوة ، فالمعجزة دليل على نبوة النبي ورسالته ، لا على ألوهيته.

والعلماء استنبطوا هذه المعاني للمعجزة من القرآن الكريم ذاته ، وهو في معرض ذكره لمعجزات عبد الله ورسوله عيسى – عليه السلام – من ذلك :

- قول الله تعالى : (وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ)[1] .

فالنص الكريم واضح في تصريح عيسى نفسه بأن مجيئه بهذه المعجزات مقيد بكونها من عند الله تعالى، وبإذنه تعالى ومشيئته، وأنه – عليه السلام – ما كان ليأتي بها لولا إرادة الله تعالى وإذنه حيث أعقب – عليه السلام – كل معجزة أتى بها وذكَرَها بقوله : " بِإِذْنِ اللّهِ "، وقوله في صدر الآية : (أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)، ولم يقل : (أني قد جئتكم بآية من عندي).

ولم يذكر – عليه السلام – ذلك القيد " بِإِذْنِ اللّهِ " بعد قوله : " وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ " رغم اندراجه في المعجزة وذلك للعلم به ، ودلالةِ السياق عليه.

(١) سورة آل عمران : آيتا ٤٩ ، ٥٠ .

جاء فى صفوة التفاسير:[وكرر لفظ " بِإِذْنِ اللّـهِ " دفعاً لتوهم ألوهيته[(١)] . وأكد ذلك بقوله : " جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ " ، فهى ليست من عند نفسى، أو ليست مُنْبَثِقَةً من ذاتي .

وذُكِرَ هذا القولُ الكريم " قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ " فى صدر الآية ، وكُرِّرَ فى الآية التي تليها (وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) زيادة فى التأكيد لهذا المعنى.

وأخيراً : أرى من المناسب أن أختم هذا المبحث بكلام للجاحظ حول أسباب سوء وخطأ التأويل لدى النصارى ، فيقول ـ رحمه الله تعالى : [إن القوم أساءوا التأويل لجهلهم بمجازات الكلام ، وتصاريف اللغات ، ونقل الكلام (الترجمة) ، وجهلهم بما يجوز على الله وما لا يجوز، واعتقاد التشبيه، والعيّ[(٢)] والتقليد. ولعمري أن لو كانت لهم عقول المسلمين، ومعرفتهم بما يجوز في كلام العرب ، وما لا يجوز على الله ، مع فصاحتهم بالعبرانية لوجدوا بذلك الكلام تأويلاً حسناً، ومخرجاً سهلاً، ووجهاً قوياً[(٣)] ، أي في التدليل على التوحيد ، وإثبات بشرية عيسى عليه السلام وعبوديته لله تعالى ، وكونه رسولاً إلى بني إسرائيل خاصة ، كسائر من سبقوه من الأنبياء والمرسلين ...

---

(١) مج ١ / ٢٠٣ .

(٢) العَيُّ : الجهل، أو العجز عن بيان المراد [يقال : عَيَّ بأمره ، وعَيَّ عن حجته ـ والأمرَ ، وبالأمرِ : جَهِله ، فهو عَيٌّ ، ويقال : عَيَّ في منطقه – عِيًّا ، وعَيَاءَ : عجز عنه فلم يستطع بيان مراده منه (المعجم الوسيط : ٢ / ٦٦٥ مادة " عَيَّ "].

(٣) رسائل الجاحظ " رسالته في الرد على النصارى " : ص ٢٧٠– ٢٧٤ باختصار ، ط١: بيروت – دار مكتبة الهلال ١٩٨٧م .

الخاتمة

الحمد لله ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة، سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله ، عليه وعلى من والاه أفضلُ سلام وصلاة .

وبعد،،،

فختاماً : بعد هذه الرحلة العلمية المتواضعة أستطيع بحول الله تعالى أن أخرج من هذه الدراسة حول هذا الموضوع بمباحثه السابقة بالنتائج والتوصيات التالية:

أولاً : **النتائج** :

١ – إن العقول إذا كانت بمعزل عن الوحى الإلهى ضلت، وغوت، وهوت، حيث اتخذ الإنسان إلهه مخلوقاً مثله : ما بين إنسان ، وحيوان، ونبات ، وجماد ، وحجر، ومدر، وشجر، وشمس، وقمر، وكواكب ونجوم، ... مما يؤكد على أهمية إرسال الرسل – عليهم السلام – ليحددوا للناس معبودهم الحق ، وهو الله جل جلاله ، ومراداته منهم، وعلى وجه يحقق لهم التوازن الفكرى العقدى ، والتشريعى ، والأخلاقى، والسلوكى ، وما يستتبعه من انتظام حركة الحياة ، والسعادة لهم فى العاجل والآجل .

فكيف لو حدثت الضلالة والغواية من قوم ، مع وجود الوحى الإلهى بينهم كالنصارى ؟ !!!

٢– إن الأسباب التي دفعت بالنصارى أو بعثت بهم إلى القول بألوهية رسولهم المسيح عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله أسبابٌ أو بواعث واهية لا ترقى إلى أدنى درجة من درجات الاستدلال، وذلك لتنافيها مع أوَّليات العقل وبَدَهِيَّاته ، فضلاً عن الشرع الحنيف، تلك الأسباب أو الدوافع أو البواعث هي :

* ولادة المسيح عليه السلام من غير أب . – إطلاق لفظ " إله ، الله ، الإله " على المسيح عليه السلام . – إطلاق لفظ " الرب " على المسيح عليه السلام من قِبَل حواريه وتابعيه . – تسمية المسيح عليه السلام في الأناجيل بـــ" ابن الله ". – تسمية المسيح عليه السلام بـــ "كلمة الله " وروحه في الأناجيل والقـــرآن –. – معجزاته– .

ومع أنها بواعث واضحة البطلان والفساد، فقد أعقبتها بالرد عليها من خلال ما جادت به قرائح العلماء الراسخين في العلم، حتى لا يكون لأحد من النصارى عذر فيما يدَّعونه من ألوهية المسيح عليه السلام .

أو بعبارة أخرى : إن ادِّعاء النصارى ألوهيةَ المسيح عيسى عليه السلام – وهو استناد منهم إلى بواعث واهية – يُبْطلُه إجمالاً الآتى :

أ ـ أوصافُ المسيح ـ عليه السلام ـ في الأناجيل ، وأحواله :

فهى مما تُبْطِلُ أُلوهيتَه، إذ كلها تشهد بأنه بشر، وعبد الله، ورسوله، ولا تحتمل سوى هذا ، ولا تتعداه ....

والنماذج من الأناجيل فى هذا كثيرة، وبلغت من الكثرة حد التواتر، بحيث لا يقوى على معارضتها ما استدل به النصارى مـــن نصـــوص أو نماذج يوهم ظاهرها فى زعمهم ، ومن خلال تأويلهم الفاسد لهـــا ، ألوهيةَ المسيح – عليه السلام – .

وقد ذكرتُ بعضَها فى البحث ، وأعقبتها بتفنيد العلماء لهـــا ، مـــع الإدلاء برأيى فى بعض المواطن ...

ب ـ العقلُ أو بداهةُ العقل : حيث إعمالُه فى أدلـــة النصـــارى التـــى احتجوا بها على ألوهية المسيح ، – عليه السلام – وربوبيته ، وذلك بتحليلها، واستنباط النتائج العقلية منها ، والتى تشهد بفساد اســـتدلالهم ، وعـــدم معقوليته بالمرة ، وبأدنى فكر....

٣ – إن الإنسان يمكن أن يقتنع بالباطل ، ويحسب أنه على الحق ، والسبب هو: تعصبه للآباء ، وتأثره بالبيئة التى فيها نشأ ، وبين ربوعها وشعابها صال وجال ، ولا أدل على ذلك مما عليه النصارى في العالم الآن من عقائد فاسدة ، وشرائع مُدمِّرة ،.... ويقاس عليهم اليهود ، وغيرهم من أرباب النحل الوضعية ...

٤– إن قول النصارى بأن المسيح عيسى عليه السلام، مكوّن من شِقَّيْنِ : شق لاهوتي (إلهي) ، وشق ناسوتي (إنساني أو بشري) يترتب عليه إبطالُ الحلول والاتحاد، وبإبطال الحلول والاتحاد تَبْطُل بالضرورة ألوهيةُ المسيح عليه السلام، لأن معنى الحلول والاتحاد بمقتضى قولهم هذا أن اللاهوت (الله الآب) حل بالناسوت، وهو المسيح عيسى عليه السلام، وأكسبه صفةَ الألوهية، فصار إلهاً (أي صار الناسوت وهو عيسى إلهاً) واتحد به، أي واتحد الناسوت باللاهوت، بحيث صارا شيئاً واحداً، أو شقاً واحداً، هو الشق اللاهوتي.

فقولهم إن المسيح عليه السلام مكون من شقين يعني أن اللاهوت لم يُكْسِبه شيئاً بالحلول، وبقي المسيحُ على حاله ناسوتاً، ــ أي إنساناً وبشراً كما هو ــ ، واللاهوتُ على حاله لاهوتاً ، أي إلهاً واحداً لا شريك له ، وهو الله الآب ، وإذاً فلا حلولَ ولا اتحاد ، وبالتالي فلا ألوهية للمسيح عليه السلام، إذ لو أكسبه اللاهوتُ صفة الألوهية بالحلول لصار المسيح شقاً واحداً هو الشق اللاهوتي متحداً بلاهوت الله الآب.

٥– إن قول النصارى بألوهية المسيح – عليه السلام – لم يقل به كتابهم ، واستدلالُهم على ألوهية المسيح عيسى عليه السلام بنصوص من كتابهم، ونصوصٍ من كتابنا نحن المسلمين (القرآن الكريم) مبني على تأويلهم الخاطيء لهذه النصوص بما يتفق مع الهوى والغرض، وخطأُ

التأويل واضح من خلال مصادمته بداهةَ العقولِ والشرائعَ السماوية على مر الدهور.

٦- إنه يجب علينا نحن المسلمين أن نتعامل مع أهل الذمة من أهل الكتاب لا سيما النصارى منهم بالحسنى، تعاملاً يقوم على الخير والبر، تعاملاً يكون محكوماً بالعدالة والسماحة ما داموا على العهد معنا مسالمين، لم يقفوا في طريق الدعوة إلى ديننا الإسلامي، ولم يعلنوا الحرب علينا، ساعين لإخراجنا من ديارنا، قال الله تعالى : (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (١)

كما أن التعامل معهم بالحسنى يكون انطلاقاً من وحدة الأصل ، فكلنا ننتمي إلى أب واحد، هو أبونا نبي الله آدم عليه السلام ، وأُمٍّ واحدة هي حواء، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (٢)، وانطلاقاً أيضاً من الأُخُوَّة الإنسانية، والكرامة الآدمية، وأخوّةِ المواطنة واللغة، فلا ينبغي أن تقوم معاملاتنا معهم على الكراهية والعداء بحجة اختلاف الديانة، فالمحاسب هو الله تعالى، ونحن يجمعنا وطن واحد، كما يجمعنا ولاء لقيادة واحدة، وحكومة واحدة ، ورهن لمصير واحد في وطننا الواحد...

ولا يعني هذا تقاعسنا عن دعوتهم إلى الإسلام، لكن مع مراعاة الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، مراعين في ذلك قول الله تعالى : " لا إكراه في الدين " (٣) .

(١) سورة الممتحنة : الآية ٨ .

(٢) سورة النساء : الآية ١ .

(٣) سورة البقرة : من آية ٢٥٦ .

ثانياً : التوصيات :

١ – مما يُوصَى به فى هذا البحث : ضرورةُ إجراء محاورات، ومناظرات عبر الفضائيات، ووسائل الإعلام المختلفة والمتنوعة بين علماء الدين الإسلامى ، وعلماء النصارى من القسيسين ، والرهبان وغيرهم حول عقيدة النصارى فى المسيح – عليه السلام – ، وذلك بغية الوصول إلى ما أثبته كتابهم المقدس ، والقرآن الكريم ، والسنة النبوية من أن المسيح عليه السلام كان بشراً ، وعبدا لله تعالى ، ورسولا إلى بنى إسرائيل ، حتى يقف النصارى على أصل هذه العقيدة ومصادرها ، وحتى يكونوا على بينة بمدى ما اعترى دينهم من تحريف وتبديل على أيدى أهله ، وغير أهله .

وذلك بشرطين :

الأول : رغبة الطرفين في إجراء هذه المناظرات والمحاورات .

الثاني : مراعاة آداب الحوار بين الطرفين .

٢– إن مما أوقع النصارى في حيدتهم عن صحيح العقيدة حَمْلَهم المجازَ في نصوص أناجيلهم على الحقيقة، مثل بنوة المسيح لله تعالى، وأُبُوَّة الله أو الآب ــ كما هو مبسوط في طيات البحث ــ

وعليه وبالقياس : فهذا يقتضي بالضرورة بيانَ دعاةِ الإسلام آيات وأحاديث الأسماء أو الصفات الإلهية في نصوص القرآن الكريم ، والسنةِ النبوية التي يوهم ظاهرها مشابهة الله تعالى للمخلوقين فيها ، كإطلاق اليد والأُصْبَع ، والوجه على الله تعالى ، وكاستوائه على العرش على نحو ما هو مفصل في علم العقيدة الإسلامية ، وحملَها على معنى ينزهه جل شأنه عن مشابهته لهم في ذلك ، وعدمَ الخوض فيها إلا عند الضرورة ، سيراً على نهج السلف أو الخلف،

ومجانبةً لمنهج المُجسِّمَة أو المُشبِّهة من الفِـرَق المحكـومِ علـيهم بالضلال والكفر ...

٣ – يجب جَعْلُ مادة الأديان مادة أساسية ، بان تدرس على طـلاب وطالبات الكليات الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف ، خلال سنوات الدراسة كاملة ، وهى كليات : أصول الـدين بأقسـامها، دون تمييز قسم عن آخر ، والشريعة بقسميها ، والدراسات الإسلامية ، واللغة العربية ، والتربية قسم الدراسـات الإسـلامية ، واللغـات والترجمة قسم الدراسات الإسلامية ، وذلك لأمور ثلاثة :

الأول : التأسى بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ، حيث عنايتها بدراسة الأديان فى سنواتها الأربع .

الثانى : إن العمل بالدعوة الإسلامية والإرشاد رسمياً لم يعد مقصـوراً على خريجى كلية الدعوة ، وأقسام الدعوة بكليات أصول الـدين ، بل أصبح شاملاً سائر الكليات الدينية السالف ذكرها .

الثالث : إن الدعوة الإسلامية مخَاطَبٌ بها المسلمون وغيرُ المسلمين ، مما يقتضى بالضرورة دراسةَ أديانِ ونِحَلِ مَنْ هُم على غير ديـن الإسلام ....، فتلك سبيل إلى دعوتهم وهدايتهم ...

وقد قال النبى ﷺ لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه: [" لأن يهدى الله بـك رجلاً واحداً خير لك من حُمْرِ النَّعَم "(١)] .

(١) رواه الإمام البخارى فى صحيحه : كتاب : فضائل الصحابة . باب : مناقب على بن أبى طالب رقم (٣٤٩٨) . ورواه أبو داود فى سننه كتاب العلم . باب : فضل نشر العلم : رقم (٣٦٦١) . وهذا الحديث من رواية سهل بن سعد الساعدى . وقد خاطب به النبى ﷺ على بن أبى طالب رضي الله عنه فى غزوة خَيبر، حيث قاله له : " ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لَأَنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لكم حمر النعم " .

[قوله صلى الله عليه وسلم " حمر النعم " هي الإبل الحُمر وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء ، وأنه ليس هناك أعظم منه، وتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا ــ كـ

وفى حديث آخر أن النبى ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن : [" لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها[1]] والهداية للمدعو لا تتحقق إلا بالدعوة على علم وهدى وبصيرة بفساد ما يدين به أولاً، تمهيداً لهدمه بالحجة والبرهان، واستعداداً لإحلال عقيدة الحق التي جاء بها الإسلام محله، على نحو ما دعا إليه القرآن، وسنة النبي العدنان عليه الصلاة والسلام .

" حُمر النعم " ــ إنما هو للتقريب والإفهام، وإلا فَذَرَّةٌ من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها ، وأمثالها معها لو تَصورْت] . " صحيح مسلم بشرح النووي : مج٥/ ١٥ / ١٧٨، ١٧٩] الناشر : دار الريان للتراث ــ القاهرة . ط ١ : ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م ".

(١)أخرجه ابن المبارك فى كتاب الزهد برقم (١٣٧٥) .

(أ) فهرس المصادر والمراجع
أهم المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : الكتاب المقدس :

ثالثاً : كتب التفسير :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	بيانات الطبع والنشر
١- تفسير البحر المحيط .	الإمام / محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى .	ط : بيروت – دار الكتب العلمية١٤١٢هـ – ١٩٩٢م
٢- تفسير القرآن الحكيم الشهير ب" تفسير المنار	الإمام / محمد رشيد رضا.	ط ٤ : بيروت – دار المعرفة (د . ت) .
٣-تفسير القرآن العظيم	الإمام الحافظ / عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى .	ط : القاهرة – مكتبة دار التراث (د . ت).
٤-التفسير القرآنى للقرآن	العلامة / عبد الكريم الخطيب .	ط : القاهرة – مكتبة دار الفكر العربى (د . ت).
٥-التفسير الكبير.	الإمام / فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن على التميمى البكرى الرازى الشافعى	ط : بيروت – دار الكتب العلمية ١٤١١هـ– ١٩٩٠م.
٦-تفسير المراغى .	الإمام الشيخ / أحمد مصطفى المراغى .	ط: القاهرة– دار الفكر (د.ت).
٧-الجامع لأحكام القرآن	الإمام / شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى الفرج الأنصارى القرطبى .	ط ١ : القاهرة – دار الغد العربى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩ م .

٨-دقائق التفسير(الجامع لتفسير الإمام بن تيمية) .	جمع وتقديم وتحقيق أ د / محمد السيد الجليند .	ط ١ : القاهرة - دار الأنصار ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
٩-روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى .	الإمام / أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسى البغدادى	ط دار الفكر (د . ت) .
١٠-زهرة التفاسير .	الإمام / محمد أبو زهرة .	ط ١ : القاهرة - دار الفكر العربى(د . ت).
١١-صفوة التفاسير.	أ د / محمد على الصابونى.	ط٤ : بيروت - دار القرآن الكريم ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.
١٢-محاسن التأويل المسمى تفسير القاسمى	الإمام / محمد جمال الدين القاسمى	ط : القاهرة - دار إحياء الكتب العربية (د . ت)

رابعاً : كتب فى الحديث (المتون) :		
١ - سنن أبي داود	الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي- تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين	ط : بيروت - مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ	الإمام القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المغربي	ط١ : بيروت ، دار ابن حزم ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

٣-صحيح البخارى.	الإمام / أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى .	ط٢: بيروت – المكتبة العصرية١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٤-صحيح مسلم	الإمام / أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى .	ط : القاهرة – دار إحياء الكتب العربية (د . ت) .
٥-كتاب الزهد .	الإمام عبد الله بن المبارك تحقيق الشيخ / حبيب الرحمن الأعظمى .	ط : بيروت – دار الكتب العلمية (د . ت)
٦-المستدرك على الصحيحين	الإمام الحافظ / أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى	ط ١ : بيروت – دار الكتب العلمية ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
٧- مسند أبي يعلى الموصلي	الإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي. تحقيق الشيخ / حسين سالم أسد	ط١ : المملكة العربية السعودية – مكتبة الرشد ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م
٨- معجم الزوائد ومنبع الفوائد	الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الشافعي نور الدين الهيثمي ــ تحقيق الشيخ حسين سليم أسد الداراني	ط١: المملكة العربية السعودية – دار المنهاج ١٤٣٦هـ= ٢٠١٥م .

٩- المعجم الأوسط.	الإمام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ـ تحقيق : الشيخين/ أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد ، وأبي الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني	ط: القاهرة ـ دار الحرمين ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٠- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية	الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق الشيخ المحدث/ حبيب الرحمن الأعظمي	ط١ : الكويت ـ المطبعة العصرية ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م
خامساً : كتب فى شروح الحديث : .		
١-صحيح مسلم بشرح النووي	الإمام أبو يحيى زكريا النووي	ط١: القاهرة ـ دار الريان ـ د.ت
٢-عون المعبود شرح سنن أبي داود	العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي	ط١: بيروت - دار الكتب العلمية١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م).
٣-فتح الباري شرح صحيح البخاري	الإمام الحافظ : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	ط١: القاهرة ـ دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م

سادساً : كتب في الأديان لعلماء مسلمين		
١–الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة.	الإمام القرافى تحقيق أ د / بكر زكى إبراهيم عوض .	ط ٢ : القاهرة – مكتبة وهبة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
٢–إظهار الحق .	الشيخ / رحمت الله الهندى تحقيق أ د/أحمد حجازى السقا.	ط٢ : القاهرة – دار التراث العربى١٤٠٦هـ– ١٩٨٦ م .
٣–الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام	الإمام / شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى الفرج الأنصارى القرطبى . تحقيق أ د / أحمد السقا	ط : القاهرة – دار التراث العربى (د . ت) .
٤–التثليث بين الوثنية والمسيحية.	أ د / محمود على حماية .	ط ٣ : القاهرة مكتبة النافذة ٢٠٠٥ م .
٥–تأثر المسيحية بالأديان الوضعية .	أ د / أحمد على عجيبة.	ط : القاهرة – دار الآفاق العربية ٢٠٠٦م.
٦–تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب	القس إنسلم تورميدا الشهير بعبد الله الترجمان (وكان مسيحياً وأسلم) تحقيق أ د / محمود على حماية .	ط ٤ : القاهرة – مكتبة النافذة ٢٠٠٥م .
٧–تخجيل من	الإمام تقى الدين	ط ١: القاهرة – مكتبة

حرف التوراة والإنجيل	الجعفرى . تحقيق أ / خالد محمد عبده .	النافذة ٢٠٠٦م .
٨- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .	شيخ الإسلام أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية .	ط : الإسكندرية - دار ابن خلدون (د . ت)
٩- الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح .	الإمام نعمان بن محمد الألوسى البغدادى تحقيق أ د / أحمد حجازى السقا .	ط ١ : القاهرة - دار البيان العربى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
١٠- دراسات فى المسيحية	أ د / محمود يوسف كريت .	ط : القاهرة - دار الطباعة المحمدية١٤١٥هـ - ١٩٩٠م.
١١- الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل .	الإمام / أبو حامد محمد بن محمد الغزالى تحقيق أ د / محمد عبد الله الشرقاوى .	ط ٢ : القاهرة - دار الهداية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م .
١٢-رسائل الجاحظ " رسالته في الرد على النصارى	أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ	ط١: بيروت - دار مكتبة الهلال ١٩٨٧م .
١٣-الفارق بين المخلوق والخالق .	الشيخ / عبد الرحمن الباجة جى زاده .	ط ١ : القاهرة - مكتبة النافذة ٢٠٠٦م.

١٤–القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة "	أ د / موريس بوكاى .	ط ٤ : مصر – دار المعارف (د . ت) .
١٥– لماذا اخترت الإسلام	أ / جمال زكريا .	ط ١ : القاهرة – مكتبة النافذة ٢٠٠٦م .
١٦–مستقبل النصارى في الدولة الإسلامية	أ.د / راغب السرجاني	ط١: دار أقلام للنشر والتوزيع والترجمة – القاهرة ١٤٣٢ هـ = ٢٠١١م
١٧–المسيح إنسان أم إله	المستشار الدكتور / محمد مجدى مرجان .	ط :القاهرة – مكتبة النافذة ٢٠٠٠ .
١٨– المسيح فى الإنجيل بشر .	أ د / ممدوح جاد .	ط ١ : القاهرة – مكتبة النافذة ٢٠٠٦م .
١٩– المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام	د. محمد وصفي	ط: القاهرة ــ دار الفضيلة (د.ت)
٢٠–المسيحية .	أ د / أحمد شلبى .	ط ١ : القاهرة – مكتبة النهضة العربية ٢٠٠٠م

٢١-المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل	الإمام أبو الفضل المسعودى تحقيق أ د/بكر زكى إبراهيم عوض	ط ١ : القاهرة - مكتبة رشوان ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٢٢-مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه	أ د / عبد العظيم محمد إبراهيم المطعنى .	ط ٢ : القاهرة - مكتبة وهبة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
٢٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب	نخبة من العلماء المختصين	ط٥: الرياض ـ دار الندوة العلمية للطباعة والنشر ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م .
٢٤-نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة	أ.د / أحمد علي عجيبة	ط١ : ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م (د.م)

سابعاً : شروح الكتاب المقدس لبعض رجال الدين النصارى		
١-أديان العالم	د / حبيب سعيد	ط: القاهرة ـ دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية (د.ت)
٢-تفسير أعمال الرسل	جمع وتقديم أ. هلال أمين موسى	ط١ : القاهرة ـ مكتبة كنيسة الأخوة ١٩٨٠م .
٣-تفسير إنجيل متى	أ / بنيامين بنكرتن	ط٣ : ١٩٨١م (د.م).

٤-تفسير رسائل تيموثاوس الأولى والثانية وتيطس	المستشرق / إريك بيشوب ترجمة د / حبيب سعيد	ط: القاهرة ــ النيل المسيحية (د.ت)
٥- حقائق أساسية في الدين المسيحي	القس فايز فارس	ط: القاهرة ــ دار الثقافة المسيحية (د.ت) .
٦-رسالة التثليث والتوحيد	يسى منصور .	(د . ت) .
٧-شرح بشارة يوحنا	الدكتور القس / إبراهيم سعيد	ط: القاهرة – دار الجيل للطباعة (د.ت)
٨-علم اللاهوت النظامي	د / عزت زكي .	ط: القاهرة ، دار الجيل للطباعة ١٩٧١م
٩-قاموس الكتاب المقدس	نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ، ومن اللاهوتيين	ط٦: بيروت ــ مكتبة المشعل ١٩٨١م
١٠-المسيحية نشأتها وتطورها	د / شارل جينيبر ترجمة الإمام / عبد الحليم محمود	ط ٤: مصر– دار المعارف(د.ت) .
١١-المسيحية في الإسلام	إبراهيم لوقا	ط٢ : القاهرة ــ دار النشر القبطية (د.ت)

ثامناً : كتب في المناهج العلمية :		
١-أصول البحث	أد/ عبد الهادي الفضلي	ط: إيران ـ دار الكتاب الإسلامي ـ (د.ت).
٢- البحث العلمي ومناهجه النظرية	أ د / سعد الدين السيد صالح .	ط ٢ : جدة - مكتبة الصحابة ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م .
٣-مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام	أد / حلمي عبد المنعم صابر	ط : رابطة العلم الإسلامي ـ مكة المكرمة - السنة ١٦ ـــ العدد [١٨٣] ١٤١٨ هـ .
٤-مناهج البحث العلمي	أد / عبد الرحمن بدوي	ط ٣ : الكويت- وكالة المطبوعات ١٩٧٧ م .
٥-مناهج البحث العلمي وآداب الحوار والمناظرة	أد/فرج الله عبد الباري أبو عطا الله	ط١: ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢ م (د.م) .

تاسعاً : المعاجم العربية		
١-التعريفات	السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين أبي الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي	ط١ : القاهرة البابي الحلبي ١٣٥٧ ـ ١٩٣٨ م .

٢–الكليات	أبو البقاء أيوب بن موسي الحسيني الكفوي	ط٢ : بيروت ــ مؤسسة الرسالة١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م
٣–لسان العرب	الإمام / أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقى المصرى .	ط : القاهرة ــ دار المعارف (د.ت) .
٤–مجمل اللغة	أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي . تحقيق : أ / زهير عبد المحسن سلطان	ط١ : بيروت ــ مؤسسة الرسالة١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م .
٥– المعجم الوجيز	نخبة من أعضاء مجمع اللغة العربية .	ط : القاهرة ــ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤١٢ هـ ــ ١٩٩٢ م .
٦–المعجم الوسيط	نخبة من كبار أعضاء مجمع اللغة العربية	ط ٣ : القاهرة – مجمع اللغة العربية. (د. ت). مادة (أله).
٧–معجم متن اللغة	العلامة اللغوى /محمد رضا .	ط : بيروت – دار مكتبة الحياة١٣٧٩هـ– ١٩٦٠م .